الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة :

خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم

" عيسى عليه السلام أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات الخطاب

إعداد الطلبة:

- أسماء بوالجاج
- إيمان قنون

- إشراف الأستاذ:
- فاتح بوزيت

الرقم	إسم ولقب الأستاذ(ة)	الرتبة العلمية	الصفة
1	د.جميلة بورحلة	أستاذة محاضرة (ب)	رئيسا
2	د.فاتح بوزيت	أستاذ مساعد (أ)	مشرفا
3	د. عبد الرحمن مزرق	أستاذ محاضر (ب)	ممتحنا

السنة الجامعية : 2020/ 2021 – 1440/ 1441هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

" بسم الله الرحمن الرحيم"

قال تعالى:«لأن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد »

الحمد لله نحمده على جزيل إنعامه وأفضاله، ونشكره على جليل إحسانه ونواله، وله الحمد على أسمائه الحسنى، وصفات كماله، ونعوت جلاله، وله الحمد على عدله ، وله الحمد في الآخرة والأولى وهو الحكيم الخبير، وما أجلّه وأكمله عليه توكلنا وإليه أنبنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

من أين نبدأ والمحامد كلّها **** لك يا مهيمن يا مصور يا صمد

احترنا في أبهى المعاني أن تفي *** بجلال قدرك فاعتذرنا ولم نزد

وأشهد أنّ مُحَمَّدا رسول الله، النبي الخاتم، والإمام المعصوم، والقدوة الحسنة .

والشكر بعد لله سبحانه وتعالى لوالدينا اللذين قرنهما ربّنا جلّ وعلا معه حيث قال:« أن أشكر لي ولوالديك إلىّ المصير »

ومن باب قوله ﷺ من لا يشكر الله لا يشكر الناس نسدي الشكر لأستاذنا المشرف « فاتح بوزيت » الذي لم يدَّخرْ جهدا في دعمنا وتوجيهنا فله منّا جزيل الشكر والتقدير، ونسأل الله تعالى القدير أن يجزل له المثوبة، وأن يرفع منزلته في الدنيا والآخرة والشكر أيضا لأساتذتنا الكرام اللّذين تفضلوا علينا بمناقشة وتقويم رسالتنا، ولكلّ من أسدي إلينا معلومة أو نصيحة أو إرشاد،و الشكر أولا وآخر الله ربّ العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد .

دعـــاء

اللهم إنا نسألك إيمانا دائما ونسألك قلبا خاشعا

ونسألك يقينا صادقا ونسألك دينا قيما ونسألك العافية من كل بليّة

ونسألك دوام العافية ونسألك الشكر على العافية .

يا رب لا تجعلنا ممن أصيب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا.

اللهم أشرح لنا صدرنا ويسر لنا أمرنا واحلل عقدة من لساننا

آمين ياربب العالمين

مقدمـــــــة

الحمد لله الذي خلق القلم، وعلّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير معلّم، وعلى جميع آله وصحبه وسلّم، وبعد:

يُعدُّ الخطاب من طبائع الإنسان التي فُطر عليها، فهو أكثر ميلا للخطاب والمناقشة، وهدي القرآن وإرشاده وتوجيهاته ومواعظه وأوامره ونواهيه لم تُغْفلْ هذه الطبيعة بل جاء مراعيا ومقوما لها، وممّا يدل على أنّ القرءان يلغي طبيعة الخطاب التي فطر بها الإنسان بل يقومها ويوجهها الوجهة الحسنة ما قصّهُ الله علينا من خطاب وقع في الأمم الماضية والمتمثل في خطاب الأنبياء لأقوامهم .

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يبعث إلى الناس أنبياء ورسلا ينذرونهم ويبشرونهم ويدعونهم إلى عبادة الله الواحد القهار، ذلك أنّ الناس لو تُركوُا لأنفسهم دون هُداةٍ من الله يرشدونهم لأفسدوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قال تعالى:«رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ » [1] وإنّ حديث القرآن عنهم دعوةٌ إلى الإيمان بهم، والسير على نهجهم «أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ »[2] والأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا يعملون بجد ولا يألون جهدا ولا يدخرون وسعاً في تبليغ الدعوة إلى أقوامهم ويبدوا ذلك جليا في خطاباتهم التي وردت في القرآن الكريم معتمدين في ذلك على الخطاب طريقا لتحقيق الغاية الكبرى والمتجلية في قوله تعالى:«وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ » [3].

وإن سور القرآن الكريم حافلة بالآيات المتضمنة لخطابات الأنبياء لأقوامهم ومن هذا المنطلق عزمنا أن نبحث في هذا الموضوع- خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم " عيسى عليه السلام أنموذجا "- ولمّا كانت العلوم تشرف بشرف موضوعاتها فإنّ هذا البحث نال شرفين عظيمين هما:

شرف المؤلَّف فيه: وهم اللذين اصطفاهم الله واختارهم للنبوة والرسالة، إنهم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

والشرف الثاني: هو أنّ دراسة خطابات الأنبياء لأقوامهم هو القرآن الكريم الذي أولى عناية لها منقطعة النظير .

وبما أنّ الحديث عن كل خطابات الأنبياء لأقوامهم مجال خصب وواسع للدراسة، فإنّنا اقتصرنا على ذكر بعض الأنبياء وهم (نوح، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط، شعيب، موسى، عيسى ومُحَمَّد عليهم السلام جميعا).

---

[1]- سورة النساء: الآية (165).

[2]- سورة الأنعام: الآية (90).

[3]- سورة الذاريات : الآية (56.

والذي دفعنا وحفزنا لدراسة هذا الموضوع ورغبنا فيه هو ميلنا إلى الغوص في القرآن الكريم وتفهمه من خلال البحث في خطابات الأنبياء لأقوامهم، ذلك أنّ البحث فيه هو أشرف العلوم وأجلّها وأرْفعها، وبما أنّ الأنبياء عليهم السلام يمثّلون القدوة الحسنة يمكن أن نأخذ من خطابهم الموجه إلى أقوامهم ما يفيدنا في حياتنا من أدب المخاطبة والمناقشة مع غيرنا بأسلوب حكيم وبمنهج قويم يهدي إلى الرشد ويؤدي إلى السعادة والفلاح، وأمّا عن تصفحنا لبعض الدراسات السابقة التي تناولت جوانب مختلفة من هذا الموضوع على غرار منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرءان الكريم لحميد بن مُحَمَّد الحموي، وجدال الأنبياء مع أقوامهم ليوسف عمر العساكر نجد بأن الموضوع الأول كانت دراسته مقارنة، والثاني يحمل دراسة لغوية دلالية ارتأينا نحن في دراستنا هذه أن نتطرق إلى دراسة تضاف إلى هذه الدراستين، وهي تلك الخصيصة التي يختص بها الذكر الحكيم من خلال تناولنا للأساليب البلاغية لآيات خطاب عيسى عليه السلام لقومه وفي ضوء ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإشكالية التالية:

ما هي منطلقات الأنبياء في خطاباتهم لأقوامهم؟ وكيف يتجلى خطاب الرسل والأنبياء في القرآن ، وكيف كان موقف الأقوام من الدعوة الموجهة إليهم من طرف أنبيائهم؟ وفيما تتمثل الأساليب البلاغية التي وسمت خطاب عيسى عليه السلام لقومه؟ وماذا نقصد بالخطاب القرآني؟ وهذه الأسئلة وغيرها هي ما ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنها...هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تقسم إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول يتبعها عدد من النتائج وقائمة المصادر والمراجع وفهرس المحتويات، أمّا المدخل فكان عبارة عن بيان لفضل القرآن الكريم، وذكر بعض الآيات القرآنية التي تبين خطابات الأنبياء لأقوامهم بينما الفصل الأول يتناول مفاهيم عامة حيث اندرج تحته مبحثين، الأول عنوانه " تعريف مفردات البحث " وقد ارتبط بثلاثة مطالب تضم تعريفات للخطاب والرسل والأنبياء والقرآن الكريم، أما المبحث الثاني فقد عُنْوِنَ بالخطاب القرآني مقاصده وأنواعه وخصائصه متبوعا بأربعة مطالب تضُم لفظة الخطاب في القرآن ومقاصد الخطاب القرآني وأنواعه وخصائصه، وعن الفصل الثاني (الجانب النظري من الدراسة) فقد وسم عنوانه بخطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم إذ تضمّن مبحثين: الأول يحمل عنوان خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم، ويأتي بعده ثمانية مطالب تتكون من عيّنة من خطابات الأنبياء لأقوامهم (نوح، هود،صالح، إبراهيم لوط ،شعيب،موسى، مُحَمَّد ﷺ)، أمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان منهج الأنبياء في خطابهم لأقوامهم تندرج من بعده ثلاثة مطالب تشمل الغايات والوسائل المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم،وأدب الأنبياء عليهم السلام في خطابتهم لأقوامهم، وملامح الخطاب الناجح من خلال مناهج الأنبياء في خطاباتهم لأقوامهم .

والفصل الأخير (الجانب التطبيقي من الدراسة) عُنون بخطاب عيسى عليه السلام لقومه في القرءان وقُسّم إلى مبحثين: مبحث لبيان محاور خطاب عيسى عليه السلام لقومه في القرآن، حيث جاء تحت هذا المبحث أربعة مطالب فكان الأول يحمل عنوان أساليب بلاغية في خطاب عيسى لقومه ولبني إسرائيل وللحواريين ليأتي المبحث الأخير الذي تناول قراءة حول تلك الأساليب البلاغية، وأخيرا خُتمت هذه الدراسة بخاتمة تبيّن بعض النتائج والنقاط الموجزة لما تضمنته فحوى هذه الدراسة وخلاصتها.

أمّا المنهج المعتمد في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي والوصفي ، فالمنهج الوصفي من خلال وصف الخطابات الدائرة بين الأنبياء وأقوامهم وأما التاريخي يظهر من خلال تتبع خطاباتهم عليهم السلام لأقوامهم عبر العصور.

وقد اعتمدنا في إثراء هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع من بينها : أدب الخطاب في القرآن الكريم " لعبد الرحمن سعود إبداح"، دعوة الرسل عليهم السلام " لأحمد أحمد غلوشن، "دعوة الرسل إلى الله تعالى" لمحمد أحمد العدوي.

هذا وقد تعرض البحث في رحلته لجملة من الصعوبات والعراقيل كضيق الوقت، صعوبة الحصول على الكتب الورقية لأن معظم الكتب التي تخدم هاته الدراسة كانت إلكترونية، بالإضافة إلى صعوبة البحث في الدراسات القرآنية لأنّنا نخشى الوقوع في الخطأ أو الزلل أو الانحراف أو البعد عن المقصد الرّباني أثناء تعاملنا مع الآيات القرآنية.

وفي الأخير نحمد الله العلي القدير الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل وأعاننا على إتمامه وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدخـــل

القرءان الكريم هو اخر الكتب السماوية ووحي الله الذي لم يحدث به أي تغيير أو تحريف وهو خطاب تبليغ مرسَل من الله عز وجل إلى مرسَل هم الناس أجمعين، وأن حامل هذا الخطاب هو مُحَمَّد ﷺ، وأن هذا الخطاب مخترق حدود الزمان والمكان والبيئة، فهو من أعظم الخطابات على وجه الأرض يتميز باتساق ألفاظه اتساقا محكما بالإضافة إلى البلاغة والإعجاز اللغوي، والإبداع في اللفظ والمعنى والتركيب، لأن الكلام يقوم بأشياء ثلاثة لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورب لهما ناظم، والقرءان هو الذي جمع نهايات الفضل في هذه العناصر الثلاثة، فليس هناك شيئٌ من الألفاظ أفصح وأجزل وأعذب من ألفاظه، ولا نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، تأثيره عميق يلامس الأحاسيس الإنسانية، أعجز العرب أجمعين، بل أعجز الإنس والجن، فلو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وصدّق الله العظيم في قوله:« قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ »[1].

فالقرآن الكريم دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض أوضح فيه معالم السعادة الدنيوية و الأخروية، والعالم بهذا القرآن عالم بجملة الشريعة فهو عمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر، ولا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، قال تعالى: « إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ »[2]

ويتنوع الخطاب القرآني من حيث النزول ويتدرج في تشريع الأحكام للمكلّفين بما يتلاءم مع حالهم واستجاباتهم وبما يتوافق مع المقام ومقتضى الحال كما في الخطاب المكي والمدني ومختلف الخطابات الأخرى كالخطاب الموجه للناس عامة وخطاب أهل الكتاب، وخطاب بني إسرائيل، وخطاب القرءان للمؤمنين والصالحين، وللمنافقين وأمثالهم...

وبالتالي من تأمل الخطاب القرآني في تصريفه وتنويعه استبان له بأنه شامل لجميع أصناف المخاطبين على اختلاف أجناسهم و أمكنتهم ومللهم، وهذا فارق بديع في نوعية الخطاب القرآني البليغ عن غيره من سائر الخطابات، فكان بذلك أعظم الهداية والإرشاد للقلوب الغافلة والعقول الحائرة والنفوس الضالة.

ولهذا نحن مسؤولون عن اتخاده كمنهج ثابت نلتزم بأحكامه بكل تفاصيلها؛ فهو السبيل الوحيد للخلاص في الدنيا والآخرة، وبالتالي نحن معنيون بالبحث في مضامين القرءان والتمعن فيما يرويه لنا بدقة إذ يخبرنا الله عز وجل

[1] – سورة الإسراء : الآية (88).

[2] – سورة الإسراء: الآية (09).

في القرآن أنّ الهدف من وراء وحيه هداية الناس:« هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ » سورة إبراهيم:الآية (52)[1].

ومن بين المواضيع القرآنية المهمّة التي ينبغي أن نتأملها ونتفكر فيها- خطاب الأنبياء لأقوامهم -

لقد كان أنبياء الله هم النّموذج الأعلى في تطبيق الخطاب الإلهي لتضييق الفجوة التي بينهم وبين أقوامهم في اختلافهم في القضايا التي دعوهم إليها من عبادة الله وحده، وتطبيق شرعه في الأرض من خلال الحوارات التي دارت بينهم، فالخطاب وسيلة للوصول إلى نقاط اتفاق مشتركة تكون منطلقا للتعامل البناء.

إنّ أنبياء الله تعالى هم أمْرُ التشريع هم رسله إلى البشر، وهم أساسا بشر غير أنهم أنقى البشر، والأنبياء هم الرحمة لقومهم يُبعث كل نبي رحمة لقومه أو زمانه حتى إذا جاء آخر الأنبياء جاء رحمة للعالمين قال تعالى:" وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ " سورة الأنبياء: الآية (107).[2]

ولولا الله عز وجل لما عرفنا قصص الأنبياء كما وقعت حقا ذلك أن قصص الأنبياء تعرضت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

أما عدد الأنبياء الذين ذكرهم القرآن العظيم فخمسة وعشرون جمُع ثمانية عشر منهم في مقام واحد من سورة الأنعام في قوله تعالى: « وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ » سورة الأنعام : الآية (83- 86) [3].

فهؤلاء الثمانية عشر رسولا ذكرهم الله تعالى في مقام واحد من سورة الأنعام وذكر في مواضع أخرى من القرآن الكريم اسم سبعة منهم.

وقد جمعهم بعض الشعراء في قولهم:

---

[1]- هارون يحي ، **الأمم البائدة**، دب، دط، 2004، ص 9.

[2]- أحمد بهجت، **أنبياء الله**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1973، ص 20.

[3]- عبد القادر شيبة الحمد، **قصص الأنبياء القصص الحق**، شبكة الألوكة، **الرياض**، ط1، 2013، 25.

في تلك حجّتنا منها ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة و هموا

إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل ادم بالمختار قد ختموا[1]

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى كثرة الأنبياء، وأنّ منهم من قص خبره على رسول الله ﷺ ومنهم من لم يقصص عليه يقول عز وجل: « وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۚ » سورة غافر : الآية (78).

وتختلف درجات الأنبياء والرسل، قال تعالى: « وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ » [2] ،وبرغم اختلاف درجات الأنبياء عند الله تعالى ووجود خمسة منهم هم أولو العزم وهم: مُحَمَّد ﷺ، ونوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، فإن المؤمنين مأمورون بالوقوف عند حد الأدب وعدم التفرقة بين أحد من رسله.

ولقد جرت سنّة الله في أنبيائه أن يؤيّدهم بالمعجزات الواضحة والخوارق، ففي الأنبياء من كانت معجزته الطوفان، وفيهم من كانت معجزته ناقة وُلدت من جبل، وفيهم من كانت معجزته عصا تتحول إلى ثعبان، وفيهم من كانت معجزته إحياء الموتى وتكليمهم.... وكانت معجزات الأنبياء جميعا تختلف عن رسالتهم باستثناء معجزة مُحَمَّد ﷺ، والهدف من وراء تلك المعجزات ثبوت صدق نبوة النبي أو رسالة الرسول.[3]

إنّ الأنبياء عليهم السلام دعوا إلى قاعدة واحدة وهي عبادة الله وحده، لقد اجتهدوا عليهم السلام في استمالة قلوب أقوامهم ومشاعرهم وكل خلجاتهم مع حرصهم القوي والدائم على عدم قطع أواصر الصلة بينهم وبين أقوامهم، فقد اعتمدوا طريقا للخطاب المفتوح فيما بينهم متخذين إستراتجية ذات قواعد بناءة قائمة على التدرج في الخطاب للحديث عن آيات الله، وإقامة الأدلة والأساليب المقنعة.

لقد حكي القرآن الكريم نماذج كثيرة من خطب على لسان الأنبياء كقوله تعالى في سورة هود على لسان سيدنا نوح عليه سلام: "« قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ...﴿٢٨﴾ » سورة هود: الآية (28)

[1]- أحمد أحمد غلوشن، **دعوة الرسل عليهم السلام** ، مؤسسة الرسالة الوساطة للطابعة والنشر ، القاهرة، ط1، 2002، ص 38.

[2]- سورة الإسراء: الآية (55) .

[3]- أنضر: أحمد بهجت، المرجع السابق، ص22.

وقوله تعالى:« وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ ... »

وقوله تعالى:« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ » .

وقوله أيضا: « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ...»

وقوله أيضا : « إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ..... » .

وفي خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه قوله تعالى:« إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ .... ».

وفي خطابه عليه السلام لقومه، قال تعالى:" وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ ».

أمّا خطاب موسى عليه سلام في القرآن الكريم فهي متنوعة منها خطابه عليه سلام لفرعون في قوله تعالى: « قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ».

وفي خطابه لقومه:« وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ .... »[1].

وفي خطاب آخر له:« وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ .... »[2] .

وإذا استعرضنا خطاب سيدنا عيس ابن مريم عليهما السلام فإن الحال معه يختلف، ذلك أنه لم ينسب لأي قوم في القرآن الكريم، فلا توجد أي آية تجمع كلمة (عيسى) أو (المسيح) مع كلمة (قوم) مثل بقية الأنبياء كقوله

[1]- سورة المائدة : الآية (20-26).

[2]- سورة يونس : الآية (84-86).

تعالى:« لقد أرسلنا نوحا إلى قومه... » ، « و إلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم... »،« ولما رجع موسى إلى قومه... »، وذلك لأنّ نسبة الإنسان تكون دائما لأبيه، فالأب يأتي لقوم معين، كذلك الابن ينتمي لنفس القوم، فسيدنا نوح ينتمي لأب من قومه، ولذلك نسب إليهم، أما سيدنا المسيح لا ينتمي لأي قوم لأنه وُلد من غير أب، ولهذا كان لابد أن يناديهم بقوله:" يا بني إسرائيل... " ، قال تعالى: « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ....﴿٦﴾ » سورة الصف:الآية (6)، وفي خطاب آخر له قال تعالى:«فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ » سورة أل عمران: الآية (52)[1].

ولو نظرنا إلى خطابات الأنبياء لأقوامهم نلاحظ أنهم ساروا على خ واحد وهو الدعوة إلى التوحيد الخالص، وضرورة قصر العبادة لله تعالى، وتعريف أقوامهم بالواجب الذي خلقوا له، جميعهم عليهم الصلاة والسلام يرددون نفس الكلمة لا تتغير ولا تتراجع كلمة واحدة وهي لا معبود بحق سوى الله.

تميزوا عليهم السلام بأخلاقهم السامية وعلمهم، وحسن وتعاملهم مع أقوامهم من لين وحلم وصفح وصبر...، وأما استقبال قومهم لهم فمتشابه يشمل تكذيب واتهام وإيذاء...[2]

[1]- مُحَمَّد الراوي، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**، المكتبة الأكاديمية، مصر، ط1، 2007، ص22.

[2]- أحمد بهجت، المرجع السابق، ص 24.

الفصل الأول: مفاهيم عامة

المبحث الأول: تعريف مفردات البحث

- المطلب الأول: الخطاب
- المطلب الثاني : الرسل والأنبياء
- المطلب الثالث: القرءان الكريم

المبحث الثاني: الخطاب القرآني مقاصده، وأنواعه، وخصائصه

- المطلب الأول : لفظة الخطاب في القرآن الكريم
- المطلب الثاني: أنواع الخطاب القرآني
- المطلب الرابع: خصائص الخطاب القرآني

المبحث الأول: تعريف مفردات البحث

الخطاب القرآني هو كلام الله في معظمه إلى رسولنا الكريم والى عامة سائر البشر فالخطاب مصدر ومنتهى ،فالمصدر هو الله ، أما المنتهى فهو رسولنا الكريم وسائر الناس ووجوه الخطابات في القران الكريم كثيرة ،لأنّ القرآن الكريم معجزة النبي مُحَمَّد ﷺ لما يحتويه على ألفاظ و أسلوب تجعله يؤثر في العقول و النفوس .

المطلب الأول: الخطاب

أولا: مفهوم الخطاب

أ/ لغة :

تحيل كلمة الخطاب في المعاجم العربية إلى عدّة معاني :

جاء في لسان العرب لابن منظور قوله" خَطَبَ الخَطْبُ : الشأن أو الأمر صَغُرَ أو عَظُمَ، وقيل هو سبب الأمر، يقال ما خطبك؟، أي ما أمرك ؟ وتقول هذا خطبٌ جليل، وخطبٌ يسير."

والخَطْبُ:" الأمر الذي تقعُ فيه المخاطبة، ومن الخِطابِ والمخَاطبةِ: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا وهما يتخاطبان ".[1]

ومما أورده الفيروز أبادي قوله: "الخِطَابُ أو الخُطْبةُ، وهيَ الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجلٌ خطيبٌ حسُنَ الخُطْبةُ" [2]

كما جاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله "خطب: خاطبهُ أحسنَ الخطابَ وهو مراجعة الكلام"[3].

ب- اصطلاحا:

عُرِّفَ الخطاب في تراثنا بأنه "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام "، وهذا التعريف له بمعنى المصدر أي بمعنى المخاطبة، وهذا المعنى الأصلي للكلمة، ولكنه صار مستعملا بمعنى اسم المفعول، وقد عُرّف هذا المعنى بأنّه " الكلام الموجه نحو الغير للإفهام " وبذلك ينطبق على كلّ كلام يوجّهه المتكلم لآخر بقصد إفهامه أمرا ما " [4].

ويُعرِّفهُ ابن فارس بأنّه:" كلّ كلام بينك وبين آخر " [5].

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، مادة (خطب)، د ت ، ج1، ص 1194.

[2]- الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2004، ص 108.

[3]- الزمخشري ، **أساس البلاغة**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1998، ص 255.

[4]- التهانوي ، **كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم** ، مكتبة لبنان، بيروت، ط1 ، 1997، ج1، ص 749.

[5]- عبد الرحمان سعود إبداح، **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، دروب للنشر والتوزيع، عمان ، د ط، 2016، ص 14.

أما الخِطابُ عند "الآمدي "في الأحكام يعرّفه بأنه: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[1].

ويعرّفه السّبكي بمعنيين حدّدهما في قوله: " فحصل في الخطاب قولان أحدهما أنّه الكلام وهو ما تضمّن نسبة إسنادية، والثاني أنّه أخص منه وهو ما وُجّهَ من الكلام نحو الغير لإفادته".

أمّا الزركشي فيعرّفه بأنّه: " الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم، وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد متهيئاً أم لا " [2] .

ثانيا: مفهوم الخطاب القرآني

الخطاب القرآني : "هو كلام الله الموجّه إلى المكلّفين بقصد تفهيمهم ما لهم وما عليهم، ومما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بيّنا واضحا لا لإجمال فيه ولا اشتباهْ، ولو كان فيه بحسب هذا القصد اشتباه وإجمال لناقض أصل المقصود من الخطاب فلم تقع فائدة "[3].

وفي تعريف آخر للخطاب القرآني :" هو خطاب إلهي معجز، ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا وبشكل دائم لأن يكون من أهم الوسائل الربانية لكل الناس، دون تخيير، أو طائفة، أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وخير ،وهذه الخيرية لم تكن فيه امتياز لطبقة أو طائفة دون أخرى؛ بل جاء عامة ينعم بها كلّ بني البشر".

فالخطاب القرآني: رسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس، أنزله الله تعالى على نبيّه: قال تعالى: « لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا » سورة الفرقان : الآية (01)

وفي ذلك يقول سيد قطب :" لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة، وينظّم مجتمعا ثم لينشئ عالما ويقيّم نظاما إنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي، وأنّه الرّسالة الأخيرة التي ليست بعدها رسالة من السّماء" [4].

المطلب الثاني: الرسل والأنبياء

أولا: معنى الرسول والنّبي

[1]-الآمدي ،علي بن مُحَمَّد، **الإحكام في أصول الأحكام**، المكتبة الإسلامية، د ط، د ت، ج1، ص 95.

[2]- لطفي فكري مُحَمَّد الجودي، **جمالية الخطاب في النص القرآني** ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2014، ص 74- 75.

[3]- عبد الرحمن سعود إبداح، المرجع السابق،ص 15.

[4]- لطفي فكري مُحَمَّد الجودي، المرجع السابق، ص 93.

1- تعريف الرسول لغة واصطلاحا

أ- لغة:

الرّسُولُ:" بمعنى الرّسالةِ يُؤنَّثُ ويُذكَّرُ، فمنْ أنّثَ جمعهُ أرْسُلاً، قالَ الشّاعرُ ...قدْ أتتْهاَ أَرْسُلي".

ويقالُ: "هي رسوُلُكَ، وتراسلَ القَومُ: أرْسَلَ بعْضُهُمْ إلىَ بَعْضٍ، وَ الرَّسولُ: الرِّسالةُ، وَ المرْسَلُ" [1].

والرَّسُولُ المرْسلُ (للمذّكرِ والمؤنّثِ والواحدِ والجمعِ) وفي التنزيل العزيز:

« إنّا رسولُ رَبِّ العَالمينَ » ويجمع أيضاً على رُسُلٍ وأَرْسُلٌ و الرِّسالَةُ. (في الشّرع): (من الملائكة) : من يُبَلِّغُ عن الله. و (من الناس) : من يبعثه الله بشرع يعمل به ويبلّغهُ [2]، والرُّسُلُ: جمع الرّسول بمعنى المرسَلْ قال تعالى« وَقَفَّيْنَا مِنْ بعْدهِ بالرُّسُلِ »سورة البقرة: الآية (87) [3].

كذلك يُعرّف الرّسول: "بأنّه الّذي أمره المرسِل بأداء الرّسالة بالتّسليم أو القبض"[4].

ب- إصطلاحا:

الرّسول: "هو إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام" [5]

الرّسول:" من أوحى إليه بشرعٍ وأُمِرَ بتبليغه"[6]

وعلى ذلك فالرُّسل" إنّما سموّ بذلك لأنّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى:« ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا » سورة المؤمنون : الآية (44)، وهم مبعوثون برسالة معينة مكلفون بحملها وتبليغها ومتابعتها" [7].

2- تعريف النّبي لغة واصطلاحا

أ-لغة:

قال الفرّاء:" النّبيُّ: هوَ منْ أنْبأَ عنِ اللَّه، فَتُرِكَ هَمْزُهُ، قَالَ: وَإِنْ أُخِذَ مِنَ النَّبْوَةِ والنَّباوةِ، وَهِيَ الارتفاع عَن الأرضِ، أيْ أنَّهُ أشْرفَ علىَ سائِرِ الخلْقِ، فأَصْلُهُ غيرُ الهمْزِ وتصْغيرُ النّبِيّءِ: نبُيّءٌ ، مثالٌ نُبَيّعٍ، وتَصْغيرُ النُّبوءةِ نُبيئةٌ، مثالُ نُبَيّعةٍ".

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص 1644.

[2]- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية جهوية (مصر)، مادة (رسل)، ط4، 2004، ص 344.

[3]- مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مصر العربية، (مادة رسل)، 1989، ج1، ص 497.

[4]- الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح أحمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1413، ص 96.

[5]- عبد الرحمن حللي، **النبوة والرسالة، مقاربة في المفهوم القرآني**، جامعة حلب، د ط، د ت، ص 243.

[6]- عبد القادر شيبة الحمد، **قصص الأنبياء القصص الحق**، شبكة الألوكة، الرياض، ط4، 2013، ص 21.

[7]- عمر سليمان عبد الله الأشقر، **الرسل والرسالات**، دار النفائس، الأردن، ط14، 2007، ص 12.

وقيّل: "النّبيُّ مشتقٌ منَ النّبَاوةِ، وهي الشَّيءُ المرتفعُ" [1]

والنَّبِيءُ:" المخبر عن الله عز وجل [وتُبْدل الهمزة ياءً وتدغم فيقال: النبيُّ] (ج) أَنبياءُ، وأَنباءٌ، ونباءٌ- المكانُ المرتفعُ النّاشِزُ المْحْدَوْدِبُ".[2]

كما يُعرّف أيضا: "من اصْطَفاهُ اللهُ منْ عباده وأوحىَ إليه بشريعة من شرائعه" [3].

كما يُعرَّفُ، بأنّه "من أُوحيَ إليه بملك أو أُلْهِمَ في قلبه أو نَبّهَ بالرُّؤياَ الصالحة "[4].

إصطلاحا:

-" النّبي من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو إليها، أو بعثه لتقرير شريعة سابقة، وقيل النّبي من أوحى إليه بشرع ولم يُؤْمر بتبليغه"[5].

والأنبياء:" هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتُصلَحُ دنياهم وأخراهم"[6].

ثانيا: الفرق بين الرّسول والنّبي:

الرّسول هو: "إنسان من البشر أوْحى الله تعالى إليه بشرعٍ وأمَرَ بتبليغه، أما النّبي: هو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ولكنّه لم يكلّف بالتبليغ.

ومنه الرّسالة أعلى مرتبة من النّبوة، لأنّ كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول"[7].

أمّا الفرق في كتاب الله" فيدل عليه ما وَرد من عطف النّبي على الرّسول في قوله تعالى: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ » سورة الحج: الآية (52)، ووصف بعض رسله بالنّبوة والرّسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة كقوله تعالى في حقّ موسى عليه السلام:

« وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا » سورة مريم: الآية (51)"[8].

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، مادة نبأ، ج1، ص 1075.

[2]- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، مادة نبأ، ط4، 2004، ص 896.

[3]- مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن**، جمهورية مصر العربية، (مادة نبأ)، 1989، ج1، ص 497.

[4]- الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة ، د ط، 1413، ص 201.

[5]- عبد القادر شيبة الحمد، المرجع السابق، ص 21.

[6]- عمر سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 11.

[7]- الصابوني، مُحَمَّد علي، **النبوة والأنبياء** ، مكتبة الغزالي، دمشق، ط3، 1985م، ص 13.

[8]- عمر سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 12.

وفي فرق آخر بين النّبي والرّسول هو" أنّ الرّسول من يأتي بجديد من الشّرع ، والنّبي الذي ليس برسول هو من

يأتي لتقرير شريعة سابقة، فإذا كان في رسالة المبعوث شيء جديد من الأحكام فإنّه يكون نبيًّا ورسولاً، وإذا كان قاصرا على تقرير الشريعة السابقة وبيان أحكامها ويأتيه الوحي بذلك فإنه يكون نبيًّا وليس برسول".[1]

ثالثا: عدد الرّسل والأنبياء المذكورون في القرآن الكريم.

وهم خمسة وعشرون رسولا ونبياً أوّلهم آدم عليه السلام وآخرهم مُحَمَّد ﷺ وقد جُمِعَ الرّسل في آيات كريمة من سورة الأنعام ذُكر منهم فيها ثمانية عشر، والسبعة الباقون ذكروا في آيات متفرقة من كتاب الله تعالى، أمّا الآية الكريمة فهي قوله تعالى:« وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ » سورة الأنعام: الآية (83- 86) [2].

وقد جُمِعَ بقية الرّسل في الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى: « وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا » سورة مريم: الآية (56)

وقال تعالى: « وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ» سورة هود :الآية (50)

وقال تعالى: « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا » ۚ سورة هود: الآية (61)

وقال تعالى: « وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ »سورة هود: الآية (84)

وقال جلّ وعلا: « وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ » سورة الأنبياء: الآية (85).

وقال تعالى:« إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ » سورة آل عمران: الآية (33) .

[1]- عبد القادر شيبة الحمد، المرجع السابق،ص 21.

[2]- الصّلابي علي مُحَمَّد ، **الإيمان بالرسل والرسالات**، دار المعرفة بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 29.

وقوله أيضاً: « مُّحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ » سورة الفتح: الآية (29)

وهؤلاء من ذكرهم الله في القرآن الكريم، وهناك من لم يذكرهم ولا نعرف عددهم قال تعالى« وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ »سورة غافر: الآية (78).

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدّة الأنبياء والمرسلين، فعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال « ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا »، وفي رواية أبي أمامة، قال أبو ذر قلت: يا رسول الله كم وفاء عدّة الأنبياء ؟ قال: « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّا غفيرا » [1]

ومن هؤلاء الخمسة والعشرون أربعة من العرب، فقد جاء في حديث أبي ذر في ذكر الأنبياء والمرسلين:« منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر » .

ويقالُ" للعربِ الّذينَ كانوا قبل إسماعيل العَرب العاربة، وأمّا العَرب المسْتعربةُ فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وهود وصالح كانا من العرب العاربة".[2]

وأفضل الرّسل والأنبياء خمسة: مُحَمَّد ﷺ، ونوح، وإبراهيم ، وموسى، وعيسى، وهؤلاء هم أولوا العزم من الرّسل، قال تعالى: « فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ » سورة الأحقاف: الآية (35)، وقد ذكرهم الله في كتابه في أكثر من موضع قال تعالى: « شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ » سورة الشورى : الآية (13) .

وقوله أيضا: « وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ » سورة الأحزاب: الآية (7) [3] .

رابعا: وظائف الأنبياء والرسل

لقد أرسل الله عز وجل الرسل لهداية الناس وإرشادهم طريق الحق، وكلفهم تبارك وتعالى بوظائف ومهام كثيرة منها:

[1] – الصّلابي علي مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 29 – 30.

[2] – عمر سليمان، عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 18.

[3] – المرجع نفسه، ص 213.

1- دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد القهار: وهذه الحقيقة هي الوظيفة الأساسية بل هي المهمة الكبرى التي يبعث الله من أجلها الرّسل الكرام، وهي تعريف الخلق بالخالق- جلا وعلا- وإرشادهم إلى الإيمان بوحدانية وتخصيص العبادة له دون سواه قال تعالى:« وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ » سورة الأنبياء: الآية (25).

وقال تعالى:« وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ » سورة النحل: الآية (36)[1] .

2- البلاغ المبين : الرّسل سفراء الله إلى عباده وحملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة التي تحمّلُوهَا إلى عباد الله قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ» سورة المائدة :الآية (67).

3- إصلاح النفوس وتزكيتها: وذلك من خلال إخراج الرّسل الناس من الظلمات إلى النور وذلك لا يتحقق إلاّ بتعليمهم تعاليم ربّهم وتزكية نفوسهم بتعريفهم بربهم وأسمائه وصفاته ، وتعريفهم بملائكته وكتبه ورسله، وما ينفعهم وما يضرهم ودلالتهم على السّبيل التي توصلهم إلى محبّته وتعريفهم بعبادته قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ » سورة الجمعة: الآية (2)[2] .

4- تقديم القدوة الحسنة: ومن الأسباب التي يمكن ذكرها لإرسال الله تعالى أنبياءه ورسله هو أن يكون أسوة حسنة وقدوة متبعة لأممهم، فالله تعالى ذكر في قرآنه الكريمَ: « أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ » سورة الأنعام: الآية (90).

5- تأمين التوازن بين الدنيا والآخرة : أتى الأنبياء والرّسل لتأمين التوازن بين الدنيا والآخرة، فمقياس التوازن الذي جاؤوا به يستطيع ابن آدم أن يجد طريقه المستقيم ومنهاجه الصحيح ويتخلص من الإفراط والتفريط فلا يجب ترك الدنيا والاعتكاف في الأديرة والصوامع كالرّهبان، ولا يجب الانغماس في الدنيا والانقلاب إلى عبد لها وأسير في

[1]- الصلابي ،علي مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 50.

[2]- عمر سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 43.

يدها؛ بل الأفضل العثور على الطريق الوسط، والقرءان الكريم يشرح هذا التوازن فيقول:« وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ» سورة القصص: الآية (77)[1] .

6- التبشير والإندار : فتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وأخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة قال تعالى:« مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ » سورة النحل الآية: (97)، ويعِدُونَهُمْ بالعز والتّمكين والأمن قال تعالى:« وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ » سورة النور: الآية (55)

ويخوّفون العصاة بالشقاء الدنيوي قال عز وجل:« وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا » سورة طه: الآية (124)، ويحذرونهم العذاب ،والهلاك الدنيوي قال تعالى: « فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ » سورة فصلت: الآية (13)، وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها قال تعالى:« وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ » سورة النساء: الآية (13) [2].

ويخوّفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة قال عز وجل: « وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ » سورة النساء: الآية (14)[3] .

المطلب الثالث: القرآن الكريم

أولا: مفهوم القرآن الكريم

1- تعريف القرآن لغة واصطلاحا

[1] - الصلابي، علي محمد، المرجع السابق،ص 56- 57.

[2] - عمر سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 47- 48.

[3] - عمر سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 47- 48.

أ–لغة:

جاء في لسان العرب: "القُرآنُ: التَّنْزِيلُ العزيزُ، وإِنَّما قُدِّمَ علىَ ماَ هُوَ أَبْسطُ منهُ لشَرفِهِ، ومعنَى القرءانِ معْنَى الجمعِ، وسُميَ قُرْءاناً لأنّهُ يجمَعُ السُّورَ فَيضُمُّها، وقوله تعالى:« إنّ علينا جمعهُ وقرآنهُ » أي جمعهُ وقراءتهُ « فإذا قرأْناهُ فاتّبعْ قرآنهُ » "[1]

أما القرآن في المعجم الوسيط يعرَّفُ: "على أنه كلام الله المنزل على رسوله مُحَمَّد ﷺ المكتوب في المصاحف" [2].

كما يعرّف القرءان في معجم ألفاظ القرآن: "كتاب الله المعجز الذي أنزله على رسوله مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم"[3].

ب– اصطلاحا

القرآن: "ما نُقِلَ بينَ دِفَتيْ المصحف نقلا متواترا "وعرّفه بعضهم قائلا، القرآن: هو" الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ المكتوب في دفات المصحف المنقول إلينا على الأحرف السبعة نقلا متواترا".

القرآن: هو" الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ المكتوب في دفات المصحف المنقول إلينا على الأحرف السبعة نقلا متواترا".

وقالت جماعة: "القرآن هو الكلام المنزل على رسول الله ﷺ للإعجاز بسورة منه، فخرج الكلام الذي لم ينزل والّذي نُزّل إلاَّ للإعجاز كسائر الكتب السماوية"[4].

ويعرّف القرآن أيضا: بأنّه" منقول بالتواتر، وهو أن يحفظه ويتناقلهُ ويحركه جمع غفير من المؤمنين الذين لا يعقل تواطؤهم على الكذب، ولا يخلص لإدراكهم بشيء من الشك لينقلوه إلى خلق كثير من الناس بعدهم ثم الذين يلونهم وهكذا .

---

[1]– ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، مادة (قرأ)، دت، ج1، ص 3563.

[2]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر، مادة (قرب)، ط4، 2008، ص 722.

[3]– مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، جمهورية مصر العربية، مادة (قرأ)، 1989، ج1، ص 888.

[4]– عبد الفتاح أبو سنة، **علوم القرآن**، دار الشرق، القاهرة، ط1، 1990م، ص 13.

والقرآن: كذلك متعبد بتلاوته حيث لا تصح الصلاة إلا بتلاوة القرءان لا بتلاوة غيره "[1].

ولعلّ التعريف الجامع المانع هو قول القائل:« القرءان أمر الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بوساطة جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس» [2] .

ثانيا: نماذج من أسماء القرآن الواردة في القرءان الكريم

***_الاسم الأول: القرآن**

وهذا الاسم أشهر أسمائه وأكثرها ورودا في آياته وأشهرها دورانا على ألسنة السلف، وقد وردت تسميته بهذا الاسم في آيات عدة منها: قوله تعالى:« قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » سورة الإسراء: الآية (88).

قوله تعالى:« قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » سورة الإسراء: الآية (88).

وقوله تعالى:« إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » سورة الزخرف: الآية (3).

وقوله تعالى: « إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » سورة الإسراء: الآية (9).

وقوله تعالى:« شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ» سورة البقرة: الآية (185).

– الإسم الثاني: الفرقان

الفرقان: كلام الله تعالى لفَرقِهِ بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال والصالح والطالح في الأعمال وقيل الفرقان هو النجاة، ذلك لأنه الخلق في ظلمات الضلالات، فبالقرآن وجدوا النجاة، ومن بين الآيات التي ورد فيها ذكر الفرقان، قال تعالى:« تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا »

[1]– الدوسري، منيرة مُحَمَّد ناصر، **سور القرآن وفضائلها**، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1،د ت، ص 23.

[2]– عبد الفتاح أبو سنة، المرجع السابق،ص 13– 14.

وقوله تعالى: « فَرَقْنَٰهُ وَقُرْءَانًا لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا »سورة الإسراء: الآية (106)[1].

وقوله تعالى: « فَرَقْنَٰهُ وَقُرْءَانًا لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا »سورة الإسراء: الآية (106)[2].

- الإسم الثالث: الكتاب

وهذا الاسم أكثر الأسماء الثلاثة ورودا في القرآن الكريم، ويرد لفظ " كتاب " اسماً للقرآن الكريم في السياقات نفسها التي يرد فيها لفظ " قرآن "، ومن ذلك قوله تعالى: « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ » سورة البقرة: الآية (176) [3] .

وقوله تعالى:« إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ » سورة النساء: الآية (105).

وقوله تعالىَ: « وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ »سورة النساء: الآية (113).

وقوله تعالى: «كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ » سورة الأعراف: الآية (2).

وقال عز وجل:« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ » سورة الكهف: الآية (1) [4].

الإسم الرابع: التنزيل

التنزيل مصدر نزّل، أُطلق على المنزّل وهو القرءان، وسمي به لأنه منزّل من عند الله على لسان جبريل عليه السلام قال تعالى: « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ » سورة الشعراء : الآية (192).

وقال أيضا:« تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » سورة فصلت: الآية (2- 3).

---

[1]- الدوسري منير مُحَمَّد ناصر، المرجع السابق، ص 31- 32.

[2]- المرجع نفسه، ص 31- 32.

[3]- آدم بَمْبَاَ، **أسماء القرآن الكريم وأسماءُ سوره وآياته معجم موسوعي مُيسر**، مركز جمعة الماجد الثقافة والتراث، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1، 1430هـ، 2009م، ص 20.

[4]- المرجع نفسه، ص 20- 21.

وقوله أيضا: « تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ » سورة السجدة: الآية (2).

– الإسم الخامس : الذكر

الذكر مصدر ذَكَرْتُ ذِكراً، وسمي القرءان ذكْرًا لما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية وأخبار الأنبياء، ويدل على قوله تعالى: « إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ » سورة الحجر:الآية (09)

وقال تعالى:« وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ» سورة النحل الآية : (44)[1]

ثالثا: فضل القرآن على سائر الكتب

عن واثلة بن الأسقع ﷺ، أن النبي ﷺ قال« : أُعْطيتُ مكَانَ التَّوراةِ السّبْعَ، وأُعْطيت مكان الزّبُورِ المئينَ، وأُعْطِيتُ مَكَانَ الإنْجيلِ المثَانِيَ، وفُضِّلْتُ بالمفصّل »

(السَّبْع): هي البقرة، آل عمران ، النساء،المائدة، الأنعام، الأعراف ، يونس

(المئين): ما كان من سور القرءان عدد آياته مئة آية، أو تزيد عليها شيئا، أو تنقص منها شيئا يسيرا

(المثاني): السورة التي عدد أياتها أقل من مئة.

(المفصّل): سمي بالمفصّل لكثرة الفصل التي بين سوره بـ « بسم الله الرحمن الرحيم »، والأصحُّ أنه يبدأ بسورة الحجرات » وينتهي بسورة الناس [2].

ومن فضائل القرآن أيضا : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أُنزل.[3]

فعن عطية قال: قال رسول الله ﷺ:« ماَ منْ كَلاَمٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ كَلامِهِ، ومارَدَّ العبادُ إِلَى اللَّهِ كَلاماً ماَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ كَلاَمِهِ ».

[1]– الدوسري، منير محمد ناصر، المرجع السابق، ص 34– 35.

[2]– فريد أمين إبراهيم الهنداوي، **فضائل القرآن العظيم في السنة الصحيحة**، الألوكة، د ط، دت، ص 12–13.

[3]– ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **فضائل القرآن**، مكتبة إبن تيمية، القاهرة، ط1، 1416هـ، ص 41–42.

وقال رسول الله ﷺ: « فضلُ كلام اللهِ على كلامِ خَلقهِ كفَضْل اللهِ علَى خَلْقهِ » مرسل

وقوله ﷺ : « ا لقرآنُ أَحَبُّ إلىَ اللهِ منَ السّمَوات والأرضِ ومن فيهنَّ » [1]

المبحث الثاني: الخطاب القرآني مقاصده،أنواعه،خصائصه

بعث الله رسله إلى الناس فأرسل كل رسول إلى قومه يخاطبهم ويدعوهم إلى دعوة الله تعالى وقصر عبادة الله وحده والتخلّق بالأخلاق الفاضلة، فقد اصطفى الله تعالى رسله صلوات الله عليهم واختارهم من بين جميع الناس لتأدية رسالة الله تعالى وهدايتهم لدين الحق .

المطلب الأول: لفظة الخطاب في القرآن الكريم

وَردت لفظة الخطاب في القرآن الكريم بصيغ كثيرة:

ففي قوله تعالى: « وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ » سورة ص : الآية (20)

وقوله أيضا:« أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ »سورة ص: الآية (23) [2]

وقوله تعالى: « رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا »سورة النبأ: الآية (37) [3].

وقوله أيضا:« وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا » سورة الفرقان: الآية (63) .

وقوله عز وجل: « وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ » سورة هود: الآية (37)[4] .

ولقد أشار النيسابوري في كتابه " تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان " في تفسير- فصل الخطاب- إلى "القدرة على ضبط المعاني والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملاً مكملا فهما مفهما".

---

[1]- الدارمي، **مختصر فضائل القرآن**، دار الأثر، مصر، د ط، 2020 م، ص 11-12.

[2]- الزمخشري، أبو قاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة بيروت، لبنان ، ط3، 2009، ص 921- 923.

[3]- نعمان بوقرة، **لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 19.

[4]- نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية**، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2009، ص 13.

والفصل بمعنى المفصول: وهو البيّن من الكلام الملخّص الذي لا يلتبس، ولا يختلط بغيره [1]كما ذهب الزمخشري في كتابه " تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل " إلى الدلالة ذاتها على معنى – فصل الخطاب – وهو " البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه" [2].

المطلب الثاني: مقاصد الخطاب القرآني

"القرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء بدين عام خالد ختم به الأديان،فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنْهى إليه منزله سبحانه كل تشريع وأودعه شروط النهضة ومقومات الحضارة الإنسانية وأوضح فيه معالم السعادة الدنيوية والأخروية والعالم بهذا القرآن عالم بجملة الشريعة فهو عمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر، ولاطريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه لأنه معلوم من الدين بالضرورة"، وقد بين القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة منها قوله سبحانه وتعالى:« ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾ » سورة المائدة : الآية (3).

وقوله أيضا : « ۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴿٨٩﴾ » سورة النحل : الآية (89)

وقوله عز وجلّ: « إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ » سورة الإسراء آية:(09)

ويمكن القول بأن أهم أغراض الخطاب القرآني تتلخص فيما يلي:

1- التعريف بالقرآن:ذلك أنه معين للهداية و ينبوع الحكمة، وإقامة الأدلة والشواهد على ذلك، وقد وردت في الذكر الحكيم عشرات الآيات مشيرة إلى هذا الغرض منها قوله تعالى:« ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ » سورة البقرة : الآية (2)

وقوله تعالى: « هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ » سورة آل عمران: الآية (7)

[1]- النيسابوري ، نظام الدين الحسن، **تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج5، ط1، دت، ص 586.

[2]- الزمخشري ، المرجع السابق، ص 921.

وقوله أيضا: « يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ » سورة المائدة: الآية (19) [1]

2- هداية البشر ودعوتهم إلى الإيمان بالله وإخلاص العبادة، والدخول في دين الإسلام، وطاعة الله تعالى واجتناب معاصيه.

3- القرآن متعبد بتلاوته وقراءته، وهذه التلاوة وسيلة لجمع كلمة المسلمين على لغة واحدة، وتيسير التفاهم والترابط قال تعالى: « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » سورة الإسراء : الآية (82). [2]

4- دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة على ترك باطلهم والدخول في دين الإسلام، وذلك عبر قنوات الحوار والجدال باللتي هي أحسن من ذلك قوله تعالى:« قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ » سورة آل عمران : الآية (64).

وقوله أيضا: « يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ » سورة آل عمران: الآية (70)

وقوله سبحانه : « يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ » سورة آل عمران: الآية (71)

5- بيان الأحكام الشرعية العملية، وفي هذا السبيل مهد الخطاب القرآني أولا بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه لتقرير وحدة الربوبية، ووحدة الألوهية، فلا رب غير سبحانه ولا معبود سواه [3].

المطلب الثالث: أنواع الخطاب القرآني

* أولا: المكي والمدني

"ذهب العلماء في تعريفهم للمكي والمدني على ثلاثة مذاهب، وكل رأي منها بني على اعتبار خاص.

الأول: اعتبار زمن النزول: فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فما نزل بعد الهجرة ولو بمكة أو عرفة: مدني كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى« إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا » النساء (58) ، فإنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.

---

[1]- عبد الرحمن سعود إبداح ، المرجع السابق، ص 17.

[2]- عبد الله محمود شحاته، **علوم القرآن**، دار غريب، القاهرة، د ط، 2002، ص 255.

[3]- عبد الرحمن سعود إبداح، المرجع السابق، ص 19.

– الثاني: اعتبار مكان النزول: فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأُحد وقباء وسلع.

ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة وحصرها، فما نزل بالأسفار أو بتبوك أو بيت المقدس لا يدخل تحت القسمة فلا يسمى مكيا ولا مدنيا، كما يترتب عليه كذلك أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكيا.

– الثالث: اعتبار المخاطب: فالمكي: ما كان خطابا لاهل مكة، والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة.

وينبني على هذا الرأي عند أصحابه أن ما في القرآن من قوله تعالى:« يا أيُّهَا النّاسُ » مكي، وما فيه من قوله تعالى:« يا أيُّهاَ اللّذينَ آمَنُوا »" مدني[1]

وعدد سور القرآن الكريم 114 سورة منها 82 سورة متفق على أنها مكية، ومنها 20 سورة متفق على أنها مدنية، ومنها 12 سورة يتردد الترجيح بين مكيتها ومدنيتها، فالسور العشرون المدنية هي:

سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال،التوبة، النور، الأحزاب، مُحَمَّد ، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، النصر.

أما السور المختلف في مكيتها ومدنيتها هي:

سورة الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، لم يكن، إذا زلزلت، الإخلاص، المعوذتان.

وما بقي من سور القرءان مكي باتّفاق، وعدده اثنتان وثمانون سورة [2].

*** ومن خصائص القرءان المكي ما يأتي:**

1– كل سورة فيها لفظ " كلاَّ " فهي مكية، وقد ذُكر هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة كلها في النصف الأخير من القرآن (وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة ومعظم أهلها جبابرة فتكررت على وجه التهديد والإنكار عليهم).

2– كل سورة فيها " يا أيها الناس " وليس فيها « يا أيها اللذين آمنوا » فهي مكية .

3– كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى سورة البقرة.

4– كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة أيضا.

5– كل سورة في أولها حرف التهجي مثل« الم، طسم، حم » فهي مكية سوى البقرة وآل عمران .

6– كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

[1]– مناع القطان، **مباحث في علوم القرءان**، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، دت، ص 57– 58.

[2]– عبد الله محمود شحاتة، **علوم القرءان**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2002، ص 46-47.

وهذه الخصائص –الست– إذا حفظ ما استثنى منها جانبا– أمارات قطعية لا تختلف –

*** أما ضوابط السور المدنية فهي كالتالي:**

1– كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين المدنية والاجتماعية والدولية فهي مدنية.

2– كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكامه فهي مدنية.

3– كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية.

4– كل سورة يكثر فيها مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلوّ في دينهم فهي مدنية وأما الأمارات الغالبة التي يرجح امتياز القسم المدني بها فهي:

- ✓ طول السورة وبعض آياتها وإطنابها وأسلوبها التشريعي الهادئ.
- ✓ تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية. [1]

***ثانيا: في وجوه مخاطباته:**

قال ابن الجوزي في كتابه "النّفيس": "الخطاب في القرآن عشر وجها وقال غيره: على أكثر من ثلاثين وجها"[2]، وفيما يلي نورد تفصيل البعض منها:

1– خطاب العام المراد به العموم

"وذلك أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضيع بدخوله بعض أفراد ذلك العام فيه كقوله تعالى: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ » سورة الحج: الآية (32) ، فقد صرح بدخول البدن في هذا العموم" بقوله تعالى بعده: « وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ » سورة الحج: الآية (36) [3]

2– خطاب الخاص والمراد الخصوص

ومن قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ » سورة المائدة: الآية (67)

وقوله أيضا: « فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا » سورة الأحزاب: الآية (37)

وقوله سبحانه: « ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ » سورة الدخان: الآية (49) وغير ذلك.

3– خطاب الخاص والمراد به العموم :

---

[1]– عبد الله شحاته، المرجع السابق، ص 52– 58.

[2]– السيوطي ،جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص 488.

[3]– الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن، بالقرآن** ،دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مج(1)، 1993، ص 35.

كقوله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ » سورة الطلاق: الآية (01) حيث افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق.[1]

وقوله أيضا:« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ » سورة التوبة:الآية (73)، يقول الإمام القرطبي " الخطاب للنبي ﷺ وتدخل فيه أمته من بعده".

4- خطاب العام والمراد به الخصوص

كقوله تعالى:« ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ »سورة آل عمران:الآية (173) فمفهوم كلمة الناس يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين والمراد بعضهم لأن القائلين غير المقول لهم.

وقوله تعالى: « وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً » سورة النساء:الآية (4) وهذا عام في الصغيرة والبالغة عاقلة أو مجنونة، ثم خصّ بقوله تعالى في آخر الآية: « فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا » سورة النساء: الآية (4) فخصها بالعاقلة، لأن من عداها عباراتها ملغاة في العفو.

5- خطاب الجنس :

كقوله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ » سورة النساء: الآية (1) فإن المراد جنس الناس لا كلّ فرد فيه فغير المكلف لا يدخل تحت هذا الخطاب [2].

6- خطاب النوع:

"وهو أخص من الجنس نحو قوله تعالى: « يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ » سورة البقرة:الآية (40) والمراد به بنو يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقد خصهم الخطاب بالذكر بما أنهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم كفرا بها".

7- خطاب العين:

نحو قوله تعالى:ٱسْكُنْ « أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ » سورة البقرة: الآية (35).

وقوله أيضا: « يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ » سورة هود: الآية (48).

---

[1]- الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، دار التراث، القاهرة، ط2، 1984، ص 217- 218.

[2]- عبد الرحمن سعود إيداح، المرجع السابق، ص22- 24.

وقوله تعالى: « أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ، قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ » سورة الصافات: الآية (104- 105).

وقوله تعالى:« يَـٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ » سورة القصص: الآية (31).

8- خطاب المدح:

"وقد وقع هذا في القرآن الكريم خطابا لأهل المدينة اللذين آمنوا وهاجروا تمييزاً لهم عن أهل مكة نحو قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا » ولا شك أن المؤمنين من أهل مكة يدخلون في هذا الخطاب أيضا ونادرا ما يأتي خطاب الذم بهذه الصيغة ولقد ورد في القرآن الكريم في موضعين اثنين لِتضَمُّنِهِ الإهانة "وهما قوله سبحانه:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ » سورة التحريم :الآية (7)

وقوله تعالى: « قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ » سورة الكافرون:الآية (1)

9- خطاب التهكم :

ويقال له أيضا السخرية والاستهزاء وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ أو المتهكم به، ولو كان عظيما مأخوذ من تهكمت البشر إذا تهدمت، ومن ذلك قوله تعالى: « قَالُواْ يَـٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ » سورة هود:الآية (87).

قال ابن كثير: "أي قالوا ذلك على سبيل التّهكم قبحهم الله" [1]

10- خطاب الجمع بلفظ الواحد :

نحو قوله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ » سورة الإنفطار: الآية (6)[2]

11- خطاب الواحد بلفظ الجمع:

كقوله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ » سورة المؤمنون: الآية (51) إلى قوله:

« فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ » سورة المؤمنون: الآية (54) فهذا خطاب للنبي ﷺ إذ لا نبي معه قبله ولا بعده وقوله أيضا:« وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ » سورة

[1]- عبد الرحمن سعود إبداح، المرجع السابق،ص 24.

[2]- السيوطي، **مختصر الإتقان في علوم القرآن**، دار النفائس، لبنان، ط1، 1985، ص 167.

النحل: الآية (126) خاطب به النبي ﷺ بديل قوله: « وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ » سورة النحل:الآية (127)[1]

12- خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين:

كقوله تعالى:« أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ » سورة ق: الآية (24) والمراد: مالك (خازن النار)

13- خطاب الاثنين بلفظ الواحد :

كقوله تعالى:« قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ » سورة طه:الآية (49)؛ أي: و "يا هارون"، وفيه وجهان : أحدهما أنّه أفرد موسى عليه السلام بالنداء بمعنى التخصيص والتوقف إذا كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات. ذكره ابن عطية والثاني: لما كان هارون أفصح لساناً منه ما نطق به القرآن. ذكره صاحب الكشاف.

14- **خطاب الجمع بعدّ الواحد:**

كقوله تعالى:« وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا... » سورة يونس: الآية (61).

والخطاب للنبي ﷺ، قال الأنباري:"إنما جمع في الفصل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي ﷺ وحده وإنما جمع تفخيما له وتعظيما".[2]

15- **خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره:**

كقوله تعالى: « فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ » سورة هود: الآية (14) الخطاب للنبي ﷺ، ثم قال للكفار: « فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ »سورة هود: الآية (14) بدليل قوله: « فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ » سورة هود الآية : (14).

وقوله: « ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ » سورة النساء: الآية (3)[3] .

– المطلب الرابع: خصائص الخطاب القرآني

[1]- الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله: المرجع السابق، ص 243.

[2]- المرجع نفسه، ص 239- 241.

[3]- الزركشي،بدر الدين محمّد بن عبد الله المرجع السابق، ص 245.

القرآن: هو معجزة نبينا الكبرى لما حوى من خصائص في ألفاظه وأسلوبه، ولتأثيره البالغ في النفوس وإعجازه العرب أجمعين؛ بل الإنس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وصدق الله العظيم في قوله: « قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » سورة الإسراء: الآية (88) .

ومن خصائص الخطاب القرآني ما يلي:

-جريان الألفاظ فيه على نسق بديع خارجا عمّا أَلِفَهُ العرب من طرائق الخطاب، فلا هو بشعر ولا هو بنثر، ومع ذلك يجد القارئ لهذا الذكر الحكيم نفسه أمام توقيع موزون يسري في جميع كلماته على نسق عجيب، يحدث في نفسه رغبة وميلا في المزيد، ورغم تحرره من قيود التفعيلة والقافية، وتعبيره عن المعنى الذي يريد بالكلمة التي يريد.

- إن الخطاب القرآني رغم تناوله لموضوعات متنوعة فيها التشريع والقصص والمواعظ والترغيب والترهيب إلا أنه يظل على مستوى واحد من السمو في جمال لفظه ورقة صياغته وروعة عباراته [1].

- استعمال بعض الألفاظ لكي تؤدّي معانٍ جديدة أخص من المعاني الذي وضعت له أصل اللغة مثل كلمة الإيمان التي تعني التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح.

- إرضاء العامة والخاصة؛ وهي ميزة لا توجد في غير هذا القرآن.

- إخراج الكلام المتيقن في صورة المشكوك تحريرا للمعنى ومبالغة فيه، ذلك باستعمال كلمة (عسى، ولعل) فهما عند الله واجبتان وفي كلام المخلوقين للتّرجي والطمع، فالخلق هم الذين تعرض لهم الشكوك والظنون، أما البارئ فهو منزه على ذلك.

- طريقته في عرض الموضوعات: لم ينسج القرآن الكريم على منوال المؤلفين في عرضهم للموضوعات وتناولهم للقضايا، بمعنى أنه لم يتناول موضوعا واحدا بكل فروعه وما يتعلق به حتى وإن إنتهى منه إنتقل إلى غيره، وإنّما نهج القرآن منهجا آخر عجيبا في نظمه، وعجيبا في آدائه لغرض المقصود منه على نحو ضافٍ وافٍ[2].

- تصوير المعاني الذهنية: فالخطاب القرآني يعبر عن المعاني المجردة بأسلوب التصوير، كما عرضها لنا في قوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ » سورة الأعراف: الآية (40)، وهذا الذي يَدَعُكَ ترسم بخيالك صورة لتفتح

[1]- عبد الرحمن سعود إبداح ،المرجع السابق، ص 32- 37.

[2]- المرجع نفسه، ص 32- 33.

أبواب السماء وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في سُمّ الخياط، ويختار من الأسماء حبل الغليظ إسم (الجمل) خاصة في هذا المقام .[1]

– تصوير الحالات النفسية والمعنوية: فالخطاب القرآني يبرز الحيرة التي تنتاب من يشك بعد التوحيد، ومن يتوزع قلبه بين الله الواحد والآلهة المتعددة ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلالة" قال تعالى: « قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا » سورة الأنعام: الآية (71)[2].

– تصوير الأمثال: وكنموذج على ذلك في قصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم في الآيات(17– 32).

يقول سيد قطب: "ها نحن أولاء أمام أصحاب الجنة– جنة الدنيا لا جنة الآخرة– ها هم أولاء يُبيّتُونَ في شأنها أمرا، وقد كان للفقير حظ من ثمر هذه الجنة، ولكن الورثة لا يشاءون، إنهم ليُريدُون أن يستأثروا بها وحدهم، وأن يحرموا أولئك المساكين حظهم فلننظر كيف يصنعونَ في قوله تعالى: « إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ » سورة القلم: الآية (17– 18) [3].

– التناسق الفني : ومن ألوانه انسجام التعبير مع الحالة المراد تصويرها حيث يساعد ذلك على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية ومن ذلك قوله تعالى: « إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ » سورة الأنفال: الآية (22) ، فإن اختيار كلمة الدواب ثم تجسيم الحالة التي تمنعهم من الهدى بوضعهم (الصّم البكم) كلاهما يكمل صورة الغفلة أو الحيوانية التي يريد أن يرسمها لهؤلاء اللذين لا يؤمنون [4].

الفاصلة : وهي آخر كلمة في الآية كقرينة السجع، قافية الشعر، وسميت بذلك لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، وأخذاً من قوله تعالى: « كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ » سورة فصلت: الآية (3) [5].

---

[1]– سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، ط10، 1988، ص 38.

[2]– سيد قطب، المرجع نفسه، ص 44.

[3]المرجع نفسه، ص 52– 53.

[4]– عبد الرحمن سعود إبداح ، المرجع السابق، ص 49.

[5]–خلف نوال،**الإنسجام في القرآن الكريم– سورة النور أنموذجا**– مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2012م، ص 108.

– استعمال الكلمات المعربة: جاء القرآن الكريم واستخدم ألفاظا تكلّمت بها ألسنة العرب، وأدخلتها في لغتها وإن كانت في أصلها ليست عربية، ومن الكلمات المعربة التي استخدمها كلمة (إبريق) في قوله تعالى: « يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ » سورة الواقعة: الآية (17– 18).

إنّ استخدام هاته الألفاظ المعرّبة بمخرج القرآن عن أن يكون بلسان عربي مبين، وقد نزل القرآن بما أَلِفَهُ العرب استخدامه ليدركوا معناه، فليس غريبا أن يتخذ من تلك الأدوات المعرّبة أدواتا له تؤدي أغراضه ومعانيه [1].

–براعة استخدام الألفاظ الغريبة: إن البراعة في استعمال الذكر الحكيم للألفاظ الغريبة التي لم تشع على الألسنة إلا قليلا ويكون ذلك إما لحسن وقعها على الأذن وإما لأنها تؤدي دون غيرها من الألفاظ الشائعة المعنى المطلوب بدقة فائقة.

يكون قصد استعمال لها إثارة انتباه السامع أو إثارة تساؤله، ودفعه نحو استفسار وطلب المعنى المقصود، فهذا الغريب مع قلته في القرآن يحاط بما يشير إلى معناه، ومما يدل على أن القرآن يؤثر رفعة الأسلوب أنه يفضل أحيانا كلمة أدبية على أخرى شائعة عامية فتراه يستخدم كلمة (إلْحافاً) كما في قوله تعالى:« يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ » سورة البقرة: الآية (273).[2]

[1]– أحمد أحمد بدوي، **من بلاغة القرآن** ، نهضة القرآن مصر، القاهرة، د ط، 2005، ص 76.

[2]– المرجع نفسه، ص 74.

الفصل الثاني: خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم:

المبحث الأول: نماذج من خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم

- المطلب الأول: خطاب نوح عليه السلام لقومه
- المطلب الثاني : خطاب هود عليه السلام لقومه
- المطلب الثالث: خطاب صالح عليه السلام لقومه
- المطلب الرابع: خطاب إبراهيم عليه السلام لقومه
- المطلب الخامس: خطاب لوط عليه السلام لقومه
- المطلب السادس: خطاب شعيب عليه السلام لقومه
- المطلب السابع: خطاب موسى عليه السلام لقومه
- المطلب الثامن: خطاب مُحَمَّد ﷺ لقومه

المبحث الثاني: منهج الأنبياء في خطابهم لأقوامهم

- المطلب الأول : الغايات والوسائل المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم

I – الغايات المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم

II – الوسائل المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم

- المطلب الثاني: أدب الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لأقوامهم
- المطلب الثالث: ملامح الخطاب الناجح من خلال مناهج الأنبياء في خطاباتهم لأقوامهم

المبحث الأول: نماذج من خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم

إنّ من أبرز الخطابات التي تحدّث عنها القرآن الكريم وفصل في ذكرها هو ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من خطابات ومناقشات في مواضيع تتعلق بالعقيدة تصحيحاً وترسيخاً، لأن العقيدة الصحيحة المتمثلة في إفراد الله بالعبودية إذا لم تجد من يجدد تعاليمها ومبادئها فإنها تصبوا إلى الانحراف، فيصبح الناس يعبدون آلهة دون الله ظناّ منهم أنها تتصرف في الكون وتؤثر فيه، ولتصحيح الانحراف،وتثبيتاً لتلك العقيدة الصحيحة أرسل الله الرسل والأنبياء لإرجاع الناس إلى الطريق الحق وعبادة الله ونبذ الشرك عنه وهذا ما يقتضي الخطاب والجدل، وسوف نقتصر في هذا المبحث على بعض النماذج من خطابات الأنبياء لأقوامهم.

المطلب الأول: خطاب نوح عليه السلام لقومه

نوح عليه السلام هو أبو البشرية الثاني و أوّل الرسل بعد آدم عليه السلام، وقد اصطفاه الله للنّبوة وهداه للحق، وكلّفه بالرسالة، كما أنّه أحد أولي العزم من الرسل [1].

بعثه الله تعالى إلى قوم يدعون (بني راسب) كانوا أشركوا بالله وعبدوا الأوثان والأصنام واتخذوا آلهة من دون الله اعتقدوا أنها تضر وتنفع وتبصر وتسمع، وهم أول قوم عبدوا الأصنام، وأشركوا بالله، ولهذا بعث الله سبحانه إليهم نوحا عليه السلام بالإنذار والتخويف" كما قال تعالى: « إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ » سورة نوح : الآية (1– 3) [2].

لكنّ القوم رفضوا الدعوة ووقفوا منها موقفا سلبيا، كما واجهوه بعدد من المواقف، فقد اتهموه بالضلال والجنون والسفاهة...كما حكى الله عنهم:« قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ » سورة الأعراف: الآية (60) وقال أيضا: « كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ » سور ة القمر: الآية (9) كذلك واتهموا أتباعه عليه السلام بالرذالة، وبخفة العقل، وبالصنعة، وبالكذب، والله عز وجلّ يبين

[1]– أحمد أحمد غلوشن، **دعوة الرسل عليه السلام**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002 م، ص 59.

[2]– الصابوني، محمّد علي ، **النبوة والأنبياء**، مكتبة الغزالي، دمشق، ط3، 1985م، ص 146.

ذلك في قوله: « مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ » سورة هود الآية: (24)[1].

ثم بيّن لهم عليه السلام أنّه ليس عجبا أن يجيئهم وعظ وإرشاد على لسان رجل منهم يحذرهم عذاب الله ويدعوهم إلى رحمته ورضوانه قال تعالى:« قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾ » سورة الأعراف: الآية (60- 63) [2].

استمر عليه السلام بالتلطف معهم في الخطاب، والترفق بهم في الدعوة إلى الحق قائلا لهم: « يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ .... [3] » .

ومع كل الجهد الذي بذله نوح معهم إلا أنهم تمسكوا بضلالهم، واستمروا في عبادة أ□نامهم، و□لبوا منهم أن يترك جدالهم: « قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ »سورة هود (32)[4].

وبعد تلقيه الإعراض المتوا□ل من قومه شكى حال قومه لربّه: « قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا » سورة نوح: الآية (5- 7)[5] .

---

[1]- أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص 61.

[2]- عفيف عبد الفتاح □بارة ، **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، دار العلم الملاين، بيروت، ط15، 1985، ص 63.

[3]- سورة هود: الآية (28- 29).

[4]- أحمد أحمد غلوشن، المرجع السابق، ص 62.

[5]- أنظر: عفيف عبد الفتاح □بارة، المرجع السابق، ص 65-66.

لمآ يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه بعد مرور فترة طويلة من الزمان (ألف سنة إلا خمسين) أوحى الله سبحانه إليه أن يصنع الفلك (السفينة) ليركب فيها هو وجماعته المؤمنون قال تعالى:« وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ » سورة هود: الآية (37).

وأخد يصنع السفينة تحت أمر الله ووحيه، وقومه يمرون عليه يستهزؤون به ويسخرون، فردّ عليهم قائلاً: « إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ » سورة هود: الآية (38)، ولما انتهى من صنعها أمره الله سبحانه أن يحمل معه أهله وجميع المؤمنين، وأن يحمل فيها من الحيوانات من كل صنف زوجين اثنين حينها عرف أن الطوفان سوف يبدأ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا، وتفجرت عيون الماء من الأرض، فخرج منها الماء بقوة فقال عليه السلام:« وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ » سورة هود : الآية (41).[1]

وما إن بدأت السفينة تطفو على سطح الماء ورأى نوح ابنه، وكان كافر اً لم يؤمن بالله حتى انطلق الرسول والأب والداعية في الخطاب من جديد لعل ابنه يرجع إلى رشده: « ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » إلا أن الإبن امتنع ورفض تلبية نداء أبيه فقال مجيبا: «سآوي إلى جبل يعصمني من الماء » فقال له الأب: « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم »، وفي ظل تلك الأجواء قدر الأمر الإلهي في قوله تعالى: « وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ »سورة هود:الآية (44)، وحينها دعا نوح ربه أن ينجي ولده قائلاً : « ربّ إنّ ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » لذلك عاتبه الله سبحانه بقوله :« قال يا نوح إنّه ليس من أهلك عمل غير صالح فلا تسألنِ ما ليس به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين » فامتثل نوح لأمر ربه وظل يدْعُو المؤمنين ويعلّمهم أحكام الدين إلى أن توفي ولقي ربه .[2]

المطلب الثاني: خطاب هود عليه السلام لقومه

هود عليه السلام هو النبي العربي الذي أرسله الله إلى عاد القبيلة العربية لما بلغ الانحراف بقوم عاد من شرك بالله وعبادة الأصنام، فكانوا بذلك أول من عبد الأصنام بعد الطوفان الذي أغرق الأرض في زمن نوح عليه

[1]– أنظر : الصابوني ،محمّد علي ، المرجع السابق، ص 151–152.

[2]–أنظر: المرجع نفسه ،ن ص 152–153.

السلام ليرشدهم إلى الطريق المستقيم، ويباعد بينهم وبين الضلال والانحلال، ويدعوهم لعبادة الله وحده ولا يشركوا به أحدا، ويعلمهم بأن الله وحده المستحق للعبادة والشكر على ما أعطاهم من قوة ومال ونعم كثيرة.....[1]

أخذ هود يدعو ويخاطب قومه إلى التوحيد والحق تبارك وتعالى يقول: « وإلى عادٍ أخاهُمْ هوداً » وما دام أخاهم فإنّه لا يريد لهم إلا خيرا، وما دام أخاهم فهو مأموناً على ما يقول فقد خاطبهم في قوله : « قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ » وقال أيضا: « يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ » سورة هود: الآية (50– 51).أي خلقني معدّاً لهذه الرسالة، وليس لطلب أجر مقابل المنفعة[2].

ثم يقول الحق تعالى:« وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ » سورة هود: الآية (52)، فالإنسان حين يطلب المغفرة من الله ويتوب ويبتعد من الذنوب يغفر له الله [3] .

وكان عليه السلام رفيقا بقومه حليما في خطابهم، وهو يأمرهم بعبادة الله ويرغبهم في طاعته واستغفاره، إلى أن عاداً تمسكت بضلالها، وأخذوا يردّون على هود في عتو واستكبار، ولم يسلموا بوحدانية الله تعالى، وأعلنوا أن عبادة آبائهم للأصنام وللآلهة المتعددة هي دينهم ولن يحيدوا عنه أبدا قائلين له: « أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ » سورة الأعراف: الآية (70)

وزعموا في استعلاء الجاهل أنه لم يقدم لهم دليلا مقنعا يبعدهم عن الشرك، وقالوا له:يَٰهُودُ « مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ سورة هود: الآية (53)[4] واعتبروا أن الأمر الذي يدعوهم إليه سفه بالنسبة إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام: « قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ » سورة الأعراف: الآية (66)، فرد عليهم عليه السلام في قوله: « يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ » سورة الأعراف: الآية (67)[5].

---

[1]– أنظر : حسن سليمان ، **قصص الأنبياء**، القاهرة، ط1، 2013م، ص 40.

[2]– الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول** ﷺ، دار القدس، ط1، 2006م، ص 53.

[3]– المرجع نفسه، ص54.

[4]– أحمد أحمد غلوشن، المرجع السابق، ص 83.

[5]– أنظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ج1، 774هـ، ص 87.

استمر قوم هود عليه السلام في الإعراض بما جاءهم به، وأ□روا على كفرهم وضلالهم وأكدوا له أنهم لن يؤمنوا مهما دعاهم وزعموا بأنهم لن يعذبوا « قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ » سورة الشعراء (136-138)

لقد خا□ب عليه السلام قومه بكل إيمان وثقة وا□مئنان لكنّه لم يجد منهم إلا عقول حجرية، وقلوب ميتة متمسكة بالضلال والبغي إلى أن أتى أمر الله، يقول سبحانه : « فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ » سورة الشعراء: الآية (139- 140)[1].

بدأ عذاب الله لقوم عاد بأن أرسل عليهم حرا شديدا جفت معه الآبار والأنهار، وماتت معه الزروع والثمار وانقطع المطر عنهم مدة □ويلة، ثم جاء سحاب عظيم فلما رأوه استبشروا به وفرحوا [2]. وظنوا أنه سيمطر عليهم ماءً، قال تعالى: « فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ » سورة الأحقاف: الآية (24) .

وظنوا أن السحب ستأتي لهم بخير وستروي عطشهم وتسقي الإبل والخيل والزرع، ولكنّها كانت تحمل لهم العذاب الشديد والوعيد، حيث جاءت ريح شديدة استمرت سبع ليال وثمانية أيام دائمة وأخذت تدمر كل شيء حتى أهلكتهم، قال تعالى: «وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ »سورة الحاقة : الآية (6-8).

وهلك قوم عاد وهذا مصير كل ظالم كافر وكانت النجاة لهود عليه السلام ومن آمنوا معه[3] .

المطلب الثالث: خطاب صالح عليه السلام لقومه

أرسله الله عز وجل إلى قبيلة مشهورة يقال لهم« ثمود » كانوا يعبدون الأ□نام فدعاهم عليه السلام إلى عبادة الله وحْدهُ وأن يخلعوا الأ□نام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى:« وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ

[1]- أنظر :الشعراوي ،مُحَمَّد متولي، المرجع السابق، ص 64- 65.

[2]- حسن سليمان ، المرجع السابق، ص 43- 44.

[3]- المرجع نفسه،ص 44.

يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ »سورة هود: الآية (61) [1].

لكنّ القوم رفضوا الدعوة وجحدوا بها قائلين :« يَـٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَـٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ » سورة هود: الآية (62) [2].

لقد أنعم الله تعالى على ثمود نعم كثيرة جنات وعيون ونخيل محملة بالثمار وبنعم استعمار الأرض فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا عظيمة وكانوا يستخدمون الصخرة في البناء وكانوا أقوياء، إذ فتح الله لهم رزقهم من كل شيء قال الله تعالى:« وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ »سورة الأعراف: الآية (74) [3].

وبالرّغم من تحذير صالح لقومه إلا أنّ القوم ظلوا يشككون برسالته ولم يؤمنوا بما جاء به إلّا القليل منهم قال تعالى: « قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ » سورة الأعراف: الآية (75- 76).

كان صالح عليه السلام قد طلب من قومه أن يتقوا الله وأنذرهم عذابه في قوله : « يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ »سورة هود: الآية (63) [4].

[1]– أنظر: ابن كثير ، المرجع السابق، ص 91.

[2]– المرجع نفسه، ص 131.

[3]– أنظر : هارون يحي، **الأمم البائدة**، دب، دط، 2004، ص 86.

[4]– المرجع نفسه ، ص 87.

وقد أيّده الله عز وجل بمعجزة الناقة لتكون آية لقومه قال تعالى: « يَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ »سورة الأعراف: الآية 73)[1].

وبعد أن حال عليهم الحال اجتمعوا وتفطنوا على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها وزين لهم الشيطان أعمالهم قال تعالى:« فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ » سورة الأعراف: الآية (77) [2].

فلمّا انتهت الأيام الثلاثة على موت الناقة وعند شروق الشمس أخذت اللذين ظلموا صيحة من السماء من فوقهم تصحبها رجفة من الأرض من تحتهم فماتوا عن آخرهم وأبق الله صالحا عليه السلام والذين آمنوا معه برحمة منه [3].

المطلب الرابع: خطاب إبراهيم عليه السلام لقومه

ابتعث الله عز وجل إبراهيم رسولا وأتاه رشده في صغره، واتخذه خليلا في كبره كما أخبرنا سبحانه وتعالى في كتابه: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ »سورة الأنبياء: الآية (51) [4].

تحرّك عليه السلام بالدعوة في كل مكان ذهب إليه، وتصدى للضلال والكفر وحاول مخلصاً أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور وينقدهم من الغواية إلى الهداية.

لقد دعا كل من اختلط بهم، دعا أباه وقومه والملك النمرود، وكان له مع كل فريق مواقف خالدة نظرا لتنوع المواقف، واختلاف المواجهة، وتعدّد طرق الخطاب ومناهج الدعوة في كل موقف[5].

*** أولا: خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه :**

ففي خطابه وإرشاده لأبيه يبين لنا القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: «وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ

[1]– عبد الحليم محمود،**في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، دار المعارف، ط3،د ت، ص 112.

[2]– أنظر: ابن كثير ، المرجع السابق، ص 135.

[3]– عبد الحليم محمود،المرجع السابق، ص 116.

[4]–أنظر: ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل، **قصص الأنبياء**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ، ط3، 1988، ص 157.

[5]– أحمد أحمد غلوش ، المرجع السابق،ص 59.

كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا » سورة مريم: الآية (42– 45).

ولكن أباه غضب عليه وأحتد عليه في قوله:« أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ » سورة مريم: الآية (46) فصبر إبراهيم عليه السلام على غلظة أبيه وقابل السيئة بالحسنة والرحمة والبر بأبيه وقال: « سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ » سورة مريم : الآية (47).[1]

لقد دعا عليه السلام إلى الله بالكلمة النيرة والخلق القويم، وحسن توكله على الله في مواجهة أبيه الكافر، وها هو الآن يعلن اعتزاله لما يعبد من دون الله قائلا: « وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا » سورة مريم: الآية (48) .

نعم الأبُ أبٌ وله حق، والله هو الخالق للأب والإبن، وكلمته هي التي تُسمعْ، وأمره هو الذي يجب أن يطاع« ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » فهو لا يجد في قلبه مودة لمن أشرك بالله، فبعد أن أخْلَ بالنصح لأبيه وبصَّرهُ بما يجب أن يكون عليه من الوفاء لله وإخلاص الدين له أعلن عليه السلام براءته له، قال تعالى : «وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ » سورة التوبة: الآية (114)[2] .

*** ثانيا:خطاب إبراهيم عليه السلام لقومه**

عالج قضايا قومه وخالفهم وكانت حجته ناصعةً في بيان ما يدعوهم إليه أو ينهاهم عنه، قال تعالى: وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ » سورة الشعراء: الآية (69– 74).

[1]– حسن سليمان، المرجع السابق، ص 59.

[2]– أنظر : مُحَمَّد الراوي، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**، المكتبة الأكاديمية، مصر،ط1، 2007، ص 252– 253.

سألهم عليه السلام عمّا يعبدون فأجابوا قائلين: « نعبدُ أ□ناماً فنظَلُّ لهَا عاكفين» سورة الشعراء : الآية (71) [1].إنّهم بألسنتهم يقولون « نعبدُ أ□ناماً » وفي ذلك إثبات لضلالهم بقولهم لا بقول أحد عنهم ومن هنا يستطيع إبراهيم عليه السلام أن يوجه الخطاب إليهم في قوله: « ۞ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣ » سورة الشعراء : الآية (72، 73) فلم يجيبوا بنفي أو إيجاب فلم يقولوا "يسمعون" أو لا "يسمعون" .

ثم ينتقل عليه السلام إلى مرحلة أخرى في خطابهم فيسألهم « أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣ » [2] .

« قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤ » سورة الشعراء : الآية (74)، وهذا هو التقليد لما كان عليه الآباء دون نظر أو تدبر هناك أعلن عليه السلام عداوته لما يعبدون من دون الله في قوله:

« ۞ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ » سورة الشعراء:الآية(76- 82).

ومع كل هذا التوضيح والبيان تمسك القوم بأ□نامهم وأ□روا على ضلالهم، وتيقن إبراهيم عليه السلام أن القوم منصرفون عنه وعن دعوته، فترك خطابهم، ومواجهتهم، وخط□ لما أراد قال تعالىَّ: « وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨ » سورة الأنبياء: الآية (57-58).

وبعدها سألوا إبراهيم عليه السلام:« قَالُواْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ » سورة الأنبياء: الآية (62).فأجاب عليه السلام وهو يشير للأ□نام:« قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ » سورة الأنبياء: الآية (63) .

[1] – محمّد الراوي، المرجع السابق، ص 254– 255.

[2] – أنظر : المرجع نفسه، ص 255– 258.

فتحير الملأ وعجزوا عن الرد واعترفوا بهوان الأ□نام فردّوا على إبراهيم بإجابة تؤكد ما ينادي به وتعترف بدليله، ومع ذلك لم يؤمنوا قال تعالى:« فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ » سورة الأنبياء: الآية (64-65) .

وهنا أخذ إبراهيم عليه السلام يعلن خطأهم ويعلى دعوة الحق أمامهم قال عليه السلام :أَفَتَعۡبُدُونَ« مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ » سورة الأنبياء: الآية (66- 67)[1].

فلمّا انقطعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة عدلوا إلى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفههم و□غيانهم، فكادهم الرّبُّ جلَّ جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى: « قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ »سورة الأنبياء:الآية (68- 70) [2] .

ثالثا: خطاب إبراهيم عليه السلام للملك النمرود

النمرود هذا هو من تحدى إبراهيم عليه السلام وكان ملكه أربعمائة سنة، وكان قد □غى وبغى وتجبر وأثر الحياة الدنيا، دارت مناظرة بين إبراهيم عليه السلام وبين هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام عليه دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله، وألجْمه الحجة وأوضح له الدليل كما أوضح ذلك ربّ العالمين في قوله: « أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » سورة البقرة: الآية (258) [3] .

لقد سأل هذا الملك إبراهيم عن □فات ربّه الذي يدعوا إلى عبادته، فأجابه بأن ربه هو الذي (يحي ويميت) فهو سبحانه منشئ الحياة وموجدها، وهو الذي (يميت) أي يسلب الحياة فعلا ولكن الملك المغتر بقوته

[1]– أحمد أحمد غلوشن، المرجع السابق، ص 129– 132.

[2]– سيد مبارك، **معجزات الأنبياء والمرسلين** ، المكتبة المحمودية، القاهرة، د ط، 2004، ص 33.

[3]– حسن سليمان، المرجع السابق، ص 62– 63.

يجيب إبراهيم (أنا أحي وأميت) قال له إبراهيم وكيف ذلك؟ قال الملك آخذ رجلين قد استحقا القتل فأقتل أحدهما فأكون قد أمَتُّهُ، وأعفو الآخر فأكون قد أحييتهُ.

فلا ريب أن كلام الملك فيه مغالطة وافتراء على الحقيقة لأن الإحياء الحقيقي لا يكون إلا بإيجاد مخلوق حي من العدم، لهذا نرى إبراهيم لا يجادل الملك في قوله؛ ولكي يحسم المجادلة اختار طريقاً آخر أجدى وأردع يستطيع به إفحامه (قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب) لكن هذا الملك اضطرب ولم ينطق جوابا [1].

المطلب الخامس: خطاب لوط عليه السلام لقومه

عاش لوط عليه السلام في نفس زمن إبراهيم عليه السلام مرسلا إلى بعض الأقوام المجاورة لإبراهيم، كان هؤلاء القوم كما يخبرنا القرآن الكريم يمارسون نوعا من الشذوذ لم تعرفه البشرية قبلهم، وعندما نصحهم لوط عليه السلام بأن يتوقف عن ممارسة هذا الشذوذ وأنذرهم بطش الله وعقابه[2].

خاطب لوط عليه السلام قومه ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ونهاهم عن كسب السيئات والفواحش قال تعالى:« وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ سورة النمل: الآية (54-55) وردّ القوم جواب« قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ » سورة النمل :الآية (56). [3]

عرض لوط عليه السلام الحقيقة وأنذرهم من عذاب الله تعالى إلاّ أنهم لم يكترثوا من أي تهديد واستمروا في تكذيبهم قال تعالى:« وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ سورة العنكبوت :الآية (28-29) بعد تلقي لوط عليه السلام جواب توجه إلى الله تعالى سألهم العون قال تعالى: « قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ » سورة العنكبوت :الآية (30)[4].

---

[1]– عبد الفتاح طبارة،المرجع السابق، ص 118- 119.

[2]– هارون يحي، المرجع السابق، ص 47.

[3]– – أنظر: أحمد بهجت **أنبياء الله**، دار الشروق، القاهرة ،مصر، ط1، 1973، ص 104.

[4]– أحمد أحمد غلوشن، المرجع السابق، ص 152.

أراد الله تعالى ابتلاء قوم لوط قل إهلاكهم فأرسل إلى لوط عليه السلام عدد من الملائكة في ﷺورة رجال حسان، آتوا سائرين على أرجلهم، بعد أن مروا على إبراهيم عليه السلام وبشروه وزوجته سارة بإسحاق.

ولما رأى لوط ضيوفه خاف عليهم وتألم لعجزه عن دفاع وﷺدّ القوم عنهم وأسرعت زوجته إلى القوم تخبرهم بمجيء ضيوف عند لوط وتصف لهم جمالهم.[1] ولقد ضرب الله مثلاً لها في الكفر قال تعالى:« ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ » سورة التحريم :الآية (10).

جاء قوم لوط مسرعين عند معرفتهم بقدوم الضيوف عند لوط وازدحموا عند باب بيته ،يقول تعالى: « وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾» سورة هود الآية (78). [2]

نصح لوط عليه السلام قومه الذين سخروا منه وفي قوله تعالى:« قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ » سورة هود: الآية (79).

تمنى لوط أن تكون له قوة تصدهم عن أدية ضيوفه، مسلما ومفوضاً أمْره لله سبحانه ، قال تعالى: قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ » سورة هود :الآية 80[3].

كشفتْ الملائكة عنْ حقيقتهمْ لِلوطِ عليه السلام وﷺمأنتهُ أن الله تعالى أرسلهم إليه قال تعالى: « قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ »سورة هود :الآية (81) [4].

[1]– أنظر: أحمد بهجت، المرجع السابق، ص 105.

[2]– أنظر: أحمد غلوشن، المرجع السابق، ص 153

[3]–أنظر: المرجع نفسه، ص153.

[4]– أنظر : أحمد بهجت، **أنبياء الله**، دار الشروق ، القاهرة، مصر، ط1، 1973، ص 108 .

فلما خرج لوط عليه السلام ومعه أهله (بناتُه) وعندما جاء الصّبحُ أنزل الله تعالى العقاب،قال تعالى :« فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ » سورة هود:الآية (82– 83) [1].

المطلب السادس : خطاب شعيب عليه السلام لقومه

يسمىّ عليه السلام " خطيب الأنبياء " لفصاحته وعلو عباراته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته بعثه الله عز وجل إلى " مدين " فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعا□ي الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في □رقاتهم قال تعالى: « وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ » سورة الأعراف :الآية (85)[2].

وقد نبّههم أنهم في غنى عن فعل المظالم وأنهم لا يحتاجون مالا يأخذونه ظلما من الناس بلا حق، فقال لهم: « إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ » سورة هود :الآية (84) فهم أغنياء وما أعطاهم يكفيهم وليس لهم حاجة في أموال الناس.

لكن القوم لم يسمعوا، ولم يؤمنوا واستمروا في جهالتهم وضلالهم وقاموا بالرد على شعيب عليكم السلام ومواجهته همزة بالمدح قائلين له: « إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ » سورة هود: الآية (87)، وأخرى يتهمونه بالكذب بادّعائه أنه رسول، وفي قوله إنّ الله إله واحد قائلين ما حكاه الله تعالى:« وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ »سورة الشعراء: الآية (186). ومرة يتهمونه بأنه مسحور قائلين له: « قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ » سورة الشعراء :الآية(185) [3].

[1]– انظر: ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل، المرجع السابق، ص 235.

[2]– انظر:المرجع نفسه، ص 242..

[3]– أنظر ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل، **قصص الأنبياء**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1988م، ص 242.

ومع كل ذلك نرى شعيبا عليه السلام يتغاضى عن هذه السفاهات لأنه يحس أن أحابها جهلاء فيرد عليهم بقوله:« قَال يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » سورة هود: الآية (88) .

لكنّ قومه كانوا قد بلغوا النهاية في الفساد فقد ردّوا عليه بقولهم كما حكى القرآن عنهم**قَالُوا۟** « يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ » سورة هود: الآية (91) [1]

وهنا نجد خطيب الأنبياء ينتقل في أسلوب مخاطبته لقومه من اللّين إلى الشدة، ومن التلطف إلى الإنكار دفاعا على جلال ربه فيقول لهم: « ... قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ » سورة هود :الآية (92- 93) [2]

كان هذا شأن شعيب عليه السلام في خطابه لقومه، أمّا أكابر القوم فقد هدّدوه قائلين:« قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ » سورة الأعراف الآية (88)[3] .

لقد نصح قومه بكل صدق وأمانة، لكنهم قابلوا الدعوة بالجحود والكفر ليستفتح عليهم ويستنصر ربه عليهم في تعجيل ما يستحقونه إليهم فقال :« رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ »سورة الأعراف: الآية (89) ليأتي أمر الله عز وجل أنهم رجفت بهم أرضهم، وزلزلت زلزالا شديدا أزهقت أرواحهم من

[1]– أحمد أحمد غلوشن، المرجع السابق، ص 164– 165.

[2]– أنظر :طنطاوي ،محمّد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1997، ص 160– 161.

[3]– أنظر: طنطاوي، محمّد سيد، المرجع السابق، ص 158.

أجسادها كما قال تعالى: « فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ »سورة الأعراف: الآية (91)"[1].

المطلب السابع: خطاب موسى عليه السلام لفرعون وقومه

أولا: خطاب موسى عليه السلام لفرعون

اختار الله موسى عليه السلام واصطنعه لنفسه كما في قوله: « وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » سورة طه:الآية (41) .

وتلك قمّة من قمم التشريف لا نعرف أحد أبلغها في ذلك الزمان البعيد غير موسى عليه الصلاة والسلام هاهو ذا موسى يحمل أمانة الحق ويمضي ليواجه بها بطش أعظم جبابرة عصره وأعتاهم، يعلم عليه السلام وأن فرعون مصر طاغية، يعلم أنه لن يسلمه بني إسرائيل بغير صراع، ويعلم أنه سيقف من دعوته موقف الإنكار والكبرياء والتجاهل، لقد أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون أن يدعوه بلين ورفق إلى الله كما في قوله تعالى:

« ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ » سورة طه الآية (43- 44).

طلب موسى عليه السلام من فرعون أن يؤمن بالله ربّ العالمين فردّ عليه وما ربّ العالمين قال له موسى عليه السلام:« رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ » سورة الشعراء: الآية (24)[2] فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملإيه ورؤساء دولته قائلا على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى"ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلها غيري؟ "مخبرا قومه كما حكى القرآن: « قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ » سورة الشعراء: الآية (27)، وبعدها "اتّجه مخاطبا موسى عليه السلام في قوله تعالى :

« إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ » سورة الأعراف: الآية (106)، فألقى موسى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة ثم أتاه بالبرهان الثاني حيث أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول، وهنالك أمر فرعون الملأ لجمع السحرة لمواجهة سحر موسى والتغلب عليه فقام السحرة بين يدي فرعون وكانوا جمع غفيرا فبدأت المناظرة فقال تعالى: « قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن

[1]– أنظر: ابن كثير أبو الفداء، المرجع السابق، ص 250.

[2]– حمدي غنيم سليمان السيد، **قصة موسى عليه السلام وفرعون مصري القرآن الكريم**، جامعة الأزهر، د ط، 2003، ص 14.

نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ » سورة طه: الآية (65). وفي قوله تعالى: « قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ » سورة الشعراء الآية: (43-44) وبعدها أوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله عليه السلام أن يلقى في يمينه في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله بين الحق والباطل قال تعالى: « فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ »سورة الشعراء: الآية (45) [1]

لم تكد عصاه عليه السلام تلمس الأرض حتى تحولت إلى ثعبان جبار سريع الحركة، وتقدّم هذا الثعبان فجأة نحو حبال السحرة وعصيهم التي كانت تتحرك وبدأ يأكلها واحدا بعد آخر، لم تكد تمضي دقائق حتى كانت الساحة خالية تماما من كل حبالهم وعصيهم.

وهنا أدرك السحرة أنهم ليسو أمام ساحر إنّهم سادة السحرة وأعظم العلماء زمانهم، أدركوا بأنها معجزة من الله، وألقي السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين فقال تعالى: « قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ » سورة الأعراف: الآية (121- 122).

تعجب فرعون من أمر السحرة فصاح فيهم "كيف تؤمنون به قبل أن أعطيكم إذنا بذلك ؟ وهدّدهم بأن أيديهم وأرجلهم ستقطع وسيصلبون في جذوع النخل، فقالوا: « إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ » سورة طه: الآية (73) [2].

عندما استمر فرعون وملئه على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلما وعلوا وتكبراً وعتوا دعا موسى عليه السلام عليهم فقال :« رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ »سورة يونس الآية (88) [3].

فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والأطعمة وكذلك الدم فصارت مياه آل فرعون دما يستقون من بئر ولا نهر إلا عاد دمًا [4].

[1]– حمدي غنيم سليمان السيد ، المرجع السابق ،ص 15- 16.

[2]– أحمد بهجت، المرجع السابق، ص 221- 222.

[3]– حمدي غنيم سليمان السيد، المرجع السابق، ص 18.

[4]– المرجع نفسه، ص 20.

بعد ذلك أسْدَلَ السّتار على □غيان فرعون بعد □دور الأمر الإلهي فهلك الرجل الذي يدعي الألوهية وأتباعه ونجا موسى عليه ومن معه قال تعالى: « وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ »سورة الشعراء: الآية (65- 68)[1].

ثانيا: خطاب موسى عليه السلام لقومه

بعد أن □ال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر، وأقام حجج الله وبراهينه، أمره الله عز وجل أن يخرج مع قومه منها، وفي □ريقهم إلى بيت المقدس مرُّوا على قوم يعبدون الأ□نام، وبدلا من يظهروا استيائهم لهذا الكفر ويحمدوا الله أن هداهم للإيمان بدلا من ذلك التفتوا إلى موسى و□لبوا منه أن يجعل لهم إلها يعبدونه مثل هؤلاء الناس ذلك أن الحنين عاودهم لأيام الشرك القديمة التي عاشوها في ظل فرعون، فاستلفتهمُ موسى عليه السلام إلى جهلهم هذا، والقرآن الكريم يروي لنا ذلك قوله جلا وعلا: «وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ »سورة الأعراف: الآية (138- 140)[2].

وبعد أن نَصَحهُمْ وأرشدهم وبيّن لهم □ريق الحقّ أخبرهم عليه السلام بذهابه للقاء ربه في جبل سيناء حيث واعده ربه ثلاثين ليلة ثمّ أتبعها عشرا فتمت أربعين ليلة يروّضُ موسى فيها نفسه على اللّقاء الموعود وينعزل فيها عن شواغل الأرض قال تعالى: « وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴿١٤٢﴾ »سورة الأعراف: الآية (142)[3] .

لم تمضي تلك الأيام التي اختارها الله عز وجل لميقاته عليه السلام فأخبره بأنّه قد اختبر قومه من بعده وابتلاهم بالعجل الذي □نعه السّامري

[1]- أحمد بهجت، المرجع السابق، ص 239.

[2]- أنظر: حمدي غنيم سليمان السيد، المرجع السابق، ص 25.

[3]- أنظر: عفيف عبد الفتاح □بارة، المرجع السابق، ص 244.

قال تعالى: « قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ » سورة طه: الآية (85)، وقد نسب الضلال إلى السّامري لأنه هو الذي استغل جعلهم، وألفهم الوثنية، و□نع لهم □ورة تشبه العجل ،وجعل له □وتا كصوته

وبعد انتهاء ميقات سيدنا موسى عليه السلام مع ربه تعالى وعاد غضبان أسفا إلى قومه أخبر الله أن قومه قد ضلّوا من بعده قال تعالى: « فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ » سورة طه: الآية (86 – 87).

وبعدها اتجه عليه السلام نحو السّامري وغضبه لم يهدأ بعد فخا□به قائلاً :« قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ »سورة طه: الآية (95– 96) [1] .

وبعد فراغه عليه السلام من السّامري ذهب إلى العجل وألقاه في النار لم يكتف بصهره أمام عيون القوم المبهوتين، وإنّما نسفه في البحر نسفا فتحول إلا له المعبود أمام عيون المفتونين به إلى رماد يتطاير في البحر، ثم ارتفع □وت سيدنا موسى قال تعالى:« إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ » سورة طه: الآية: (98)، وأفهمهم أنهم ظلموا أنفسهم وأمرهم بالتوبة إلى الله، قال تعالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ » سورة البقرة : الآية (54) [2] .

وعندما أحس بنو إسرائيل أنهم قد ظلموا أنفسهم وفارقوا إثما كبيرا بعبادة العجل اختار موسى سبعين رجلا للذهاب معه إلى جبل □ور الذي اعتاد أن يناجي ربه فيه ليقدموا الطاعة لله والندم على ما اقترفوا من إثم، ولكن جماعة منهم لم يؤمنوا، وقالوا لموسى لن نؤمن بك حتى نرى الله جهرة بأعيننا لا يحجبه حاجب قال تعالى على إثر هذا الطلب أخذتهم الصاعقة جميعا فراحوا يتساقطون على الأرض □رعى، ثم بعثهم الله من بعد موتهم بعد أن

[1] – مُحَمَّد أحمد العدوي، **دعوة الرسل إلى الله تعالى**، دار العصرية للنشر والتوزيع، دط، د س، ص 145– 146.

[2] – خالد عبد العظيم بيومي الليثي، **قبس من سير الأنبياء والمرسلين** ، شبكة الألوكة، د ط، د ت، ص 143.

تضرّع موسى وطلب العفو عمّا بدر من سفهائهم قال تعالى: « وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ »سورة البقرة :الآية (55- 56) [1].

لقد قاسى سيدنا موسى عليه السلام من قومه أشد القساوة وعانى عناء عضيما واحتمل في تبليغ رسالته ما احتمل في سبيل الله، ولعل مشكلة سيدنا موسى الأساسية أنّه بعث إلى قوم طال عليهم العهد بالهوان والذل وطال بقاؤهم في جو يخلو من الحرية، وطال مكوثهم وسط عبادة الأصنام[2].

المطلب الثامن : خطاب مُحَمَّد ﷺ لقومه

أرسل الله تعالى أنبياءه رحمة لقومهم وزمانهم وأرسل رسوله ﷺ رحمة للعالمين، فقد جاء رحمة مطلقة لقومه وزمانه ولمن يجيء بعدهم من الأقوام والأزمنة على تعاقب الأيام وتتالى الدهور قال الحق جلّ وعلى: « وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ » سورة الأنبياء: الآية (107)[3].

إنّ النّاظر في دعوة نبينا ﷺ يكون مكابراً أعظم المكابرة إن لم يعتبر ولم يؤمن فنبينا عليه السلام جاء بهذا القرآن الذي عجزت الإنس والجن عن الإتيان بمثله، وقد حوى من الأخبار الماضية والآتية والعلوم المختلفة وما يخضع له المنصف، ويجعله يسبح بحمد الله طويلا [4].

لقد بدأ عليه الصلاة والسلام دعوته بالأقربين طائعا لأمر الله عز وجل في قوله: « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ » سورة الشعراء : الآية(214) فجمع عشيرته وقال لهم والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتنَّ كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعلمون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سواءا، وإنما لجنةٍ أبدا أو لنار أبدا فتكلم القوم كلاما ليّنا غير عمّه أبي لهب.

واصل عليه السلام دعوته هذه المرة مع قبيلة العرب قريش لنبد الأصنام التي كانوا يعبدونها لما فيها من مصلحة ومنفعة، فقد كانت قريش هي التي تحمي الدار التي فيها هذه الأصنام فالقضاء عليها هو قضاء على هذه المنافع وهذه الزعامة.

---

[1]– عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 247– 248.

[2]– خالد عبد العظيم بيومي الليثي، المرجع السابق،ص 151، 152.

[3]– أحمد بهجت، المرجع السابق، ص 392.

[4]– عمر سليمان عبد الله الأشقر، **الرسل والرسالات** ، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، ط14، 2007، ص 202.

لذلك كانت مهمة رسول الله في نشر الذين الجديد مهمة شاقة، فقد ندّد بالوثنية والمعتقدات الحد لا تتلاقي مع وحدانية الله، ولم يكتف بهذا بل أظهر فساد نظمهم الاجتماعية، ولذا نظرت قريش إلي ﷺ أنه رجل خارج على نظمها وعداتها جاء ليهدم أسس حياتها الاجتماعية والإقتصادية معا فصممتْ أن تقاومه مقاومة عنيفة حتى تحافظ على كيانها.

دخل عليهم رسول الله يوما المسجد الحرام فوجدهم يسجدون للأ□نام فنهاهم على ذلك وأمرهم باتّباع دين أبيهم إبراهيم الخليل عليهم السلام فأجابوه:" إنّنا نسجد لها لتقربنا إلى الله" وهذا ما حكاه الله عنهم «ما نعبدهم إلاّ ليقربوّنا إلى الله زُلفى »فبين لهم أن ذلك هو الشرك الذي لا يقبله الله منهم ونهى عليهم استرسالهم فيما هم فيه، فأجمعوا على مخالفته وقابلوه بالسخرية والاستهزاء [1].

يقول الحق تبارك وتعالى:« وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ » سورة الأنبياء: الآية (36) ، هذا كلام لرسول الله □لى الله عليه عن واقع حدث له مع الكفار[2].

استمر المشركون بالإعراض على رسول الله ﷺ و□لبوا منه أن يأتيهم من الآيات قال تعالى: «وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٌ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ » سورة الأنعام: الآية (109).

لقد □لبوا الآيات على وجه العناد الأعلى وجه □لب الهدى والرشاد، فلو أنهم عاينوا وشاهدوا لاستمروا في □غيانهم يعمهون ولظلوا في □غيانهم ولظلوا في غيهم وظلالهم متمسكين قال تعالى: « وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ »سورة الأنعام: الآية (111) [3].

[1]– أنظر: عفيف عبد الفتاح □بارة، المرجع السابق، ص 346– 347.

[2]– أنظر: الشعراوي ،مُحَمَّد متولى ، المرجع السابق، ص 509.

[3]– أنظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، المرجع السابق، ص 386.

وبعدها أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين قال تعالى: « قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ »سورة الأنعام: الآية (50).

والرّسول يبلغ ما أمر به الله وكان يكفي أن يقول الرسول: "لا أقول لكم عندي خزائن الله،" ولكن دقة البلاغ عن الله، ولأن القرآن توقيفي [1].

وفي موضع آخر نرى المشركين يقولون للنبي ﷺ "لن نؤمن لك يا مُحَمَّد حتى ينزل علينا الوحي كما ينزل عليك"، ويردّ القرآن عليهم مبّينا لهم أن النّبوة هبة يهبها الله لمن يشاء من عباده، وأنّ الوحي لا ينزل إلا على الأنبياء اللّذين اصطفاهم الله سبحانه ليحمل رسالته وتبليغ دعوته في قوله تعالى: « وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ » سورة الأنعام: الآية (124).[2]

وهناك موضع آخر لمّا سخروا المشركين من رسول الله وطلبوا بأنّه كيف يمكن أن يزعم أنه رسول وهو يأكل الطعام كما يأكلون، ويخشى الأسواق لكسب العيش كما يفعل البشر؟ ولو كان رسولا لكفاه الله مشقة كسب العيش، ولأنزل إليه ملكا يساعده في البلاغ عن الله، أو يلقي إليه الله من السماء بكنز ينفق منه والرسول لا يملى الله عليه وسلم كبقية الرسل قال تعالى:« وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ » سورة الفرقان: الآية (20)[3].

وفي موضع آخر نرى محاورات المشركين مع النبي ﷺ تدور حول ما يتعلق بأمنهم وسلامتهم فيقولون له ﷺ:إن اتبعناك وإيماننا بك سيترتب عليه أن تخطفنا العرب، وأن تطردنا من أرضنا، ولنستمع إلى القرآن الكريم كيف يصور ذلك بأسلوبه البليغ فيقول:« وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ »سورة القصص: الآية

[1]– أنظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي ، المرجع السابق، ص 524.

[2]– مُحَمَّد أحمد العدوي، المرجع السابق ، ص 170.

[3]– الشعراوي، مُحَمَّد متولي: المرجع السابق ص 526.

(57)، ومن مقاومتهم لرسول الله تَعنُّتِهِمْ في □لب المعجزات، وهذا ما حكاه الله عنهم بقوله:« وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾.» سورة الإسراء: الآية (90-93) .

هذا بعض ما كان يلقاه رسول الله من مقاومة قومه وهو ثابت □امت يدعوا إلى الله مُسْفِهاً عقابهم بسبب عبادتهم أ□ناما لا تضر ولا تنفع والتمسك بما كان يعبد أبائهم لذلك يقول تعالى:« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ » سورة البقرة: الآية (170).

وكان ذلك ممّا يُحزن رسول الله ويؤلمه فينزل عليه من القرآن ما يواسيه مثل قوله تعالى:« وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ ﴿٣٤﴾ » الأنعام :الآية (34) [1].

ثم أراه الله أنّه إن كان قد عزّ عليه إعراض المشركين عن دعوته، وإنكارهم لنبوته فلاقي له عن الصبر والإحتمال، لو استطاع أن يطلب سربا في الأرض يخل □ به من أولئك القوم أو سلماً في السماء فيأتيهم بآية تخضع لها أعناقهم فليفعل، فخير له أن يرضى، وألاّ تذهب نفسه عليهم حسرات [2].

قال تعالى: « أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ » [3].

[1] – □نطاوي، مُحَمَّد سيد ،المرجع السابق، ص 173.

[2] – □بارة عفيف عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 347 – 348.

[3] – سورة فا□ر : الآية (8).

المبحث الثاني: منهج الأنبياء في خطابهم لأقوامهم

إنّ أنبياء الله تعالى معصومون ومسدّدون بالوحي موفون بالكمال ودعوتهم تنطلق بأمر الله وتوجيه لهم ليبلّغوا ما عليهم وما أمروا به على أكمل وجهٍ متّبعين بذلك منهجاً في خطاباتهم لأقوامهم وأساليب خطابية ناجحة، وهذا ما نتطرق إليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: الغايات والأساليب المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم:

I– الغايات المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم

تعددت الغايات والأساليب المنهجية في خطابات الأنبياء لأقوامهم وتنوعت ومن بينها:

أولا: الدعوة إلى التوحيد

إنّ لبَّ دعوات الأنبياء عليهم السلام وجوهرها هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما يعبد من دونه وقد عرض القرآن الكريم هذه القضية وأكدها في مواضيع متعددة، مرّة يذكر دعوة الرسل فنوح عليه السلام يقول لقومه:« يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ » سورة الأعراف: الآية (59)، وإبراهيم عليه السلام قال لقومه: « ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ » سورة العنكبوت: الآية (16) وهود قال لقومه:« قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ » سورة الأعراف: الآية (65)، والح قال لقومه « ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ » سورة الأعراف: الآية (73) .

ومرّة أخرى ين على أنّه أرسل الرسل جميعا بهذه المهمة الواحدة فيقوا: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ » سورة الأنبياء: الآية (25)[1].

فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقولون كلاما واحدا يتصل بالله– لا إله إلا الله وحده لا شريك له – لا الذهب ولا الهوى ولا الحكم ولا سلطة ولا راحة ولا النعيم ولا الدنيا كلها تصلح للعبادة ....–لا معبود سوى الله وحده لا شريك له– [2].

[1]– عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، دار النفائس، الكويت، ط2، 1983، ص 244.

[2]– أحمد بهجت، المرجع السابق، ص 28– 29.

ثانيا : الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

تعتبر الأخلاق جانبا حيويا وهّاما في كل رسالة سماوية والرسل والأنبياء ﷺ الله عليهم خير الناس اﷺ طفاهم الله تعالى لنشر المكارم الأخلاقية، وركز في ﷺ باعهم السّمو النفسي والأخلاقي الذي جعلهم مستعدين للقيام برسالتهم، ويحدد الرسول الخاتم ﷺ منزلة الخلق في الرسالات فيقول ﷺ « إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فهو متمم لمن سبقه من الرسل وكأن الهدف من كل رسالة هو نشر جانب أخلاقي ما، إلاّ أن الرسالة الخاتمة جاءت متممة لهدف هذه الرسالات بتكميل مكارم الأخلاق كلها[1].

لقد جاهد الأنبياء عليهم السلام لنبذ الأخطاء التي مارسها أقوامهم، ومن أمثلتها في القرءان الكريم ما كان من قوم شعيب حيث كانوا يطففون الكيل والميزان، فإذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإن أعطوهم يخسرون فأتاهم شعيب عليه السلام لإﷺ لاح هذا الخطأ وقال لهم: « وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ » سورة هود: الآية (85)[2].

ومثل هذا النداء تكرر في قصﷺ القرآن الكريم مع شعيب عليه السلام، ومنها كذلك ما كان من قوم لوط عليه السلام حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين ويتركون النساء فقال لهمۦ: « أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ » سورة الأعراف: الآية (80– 81)، وقد تكررت تفاﷺ يل فاحشة قوم لوط في كثير من المواضيع التي ذكرها القرآن الكريم عن قصتهم.

ومنها ما كان من فرعون من ظلم وﷺ غيان حيث ادّعى أنّه رب الناس، وقد استولى على جميع البلاد وقال للناس« أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ » سورة الزخرف: الآية (51)، ولذلك جاءه موسى عليه السلام لتصحيح هذه المفاسد [3] .

ثالثا: قيامها على الدليل والحجة

قامت خطابات الأنبياء على تقديم الدلالات والحجج، فهذا ﷺ الح عليه السلام يبدأ دعوة قومه إلى توحيد الله مقدّما معه البيّنة والبرهان، قال تعالى: « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ

[1]– احمد احمد غلوشن ،المرجع السابق، ص 516.

[2]– أنظر : المرجع نفسه ،ص، 521.

[3]– المرجع نفسه ، ص 521– 522.

غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ ... » سورة الأعراف: الآية (73) ومثله فعل شعيب عليه السلام، قال تعالى في قصته «... وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ » سورة الأعراف: الآية (85). وكذلك فعل موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى:قَالَ « أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ »سورة الشعراء: الآية (30) [1].

ولننظُر إلى إبراهيم عليه السلام وهو يقيم الحجة القا□مة على خصمه العنيد ويقطع عليه الطريق بأيسر الطرق وأظهر البراهين الدامغة قال تعالى:« قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » سورة البقرة: الآية (258) [2] .

فالعقلاء دائما عندما تتضح لهم الحجة ويظهر لهم البرهان ويرون الدليل السا□ع على □حة المسألة يقتنعون بذلك ويعترفون بالحقّ، أمّا السفهاء والجهلاء والمغرورون فإنهم يصرّون على با□لهم ويجحدون الحق عن علم به لسوء نواياهم وضعف عقولهم وانطماس بصائرهم... [3] .

II– الأساليب المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم :

أولا: التدرج والبدء بالأهم

يبدأ الأنبياء عليهم السلام خطاباتهم بأهم قضية وأكبر غاية بل هي أمّ القضايا وأساسها ألا وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعدم □رف شيء منها لغيره عز وجل، فقد كان كل نبي أول ما يبدأ بدعوة قومهۦ « ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۚ » سورة الأعراف: الآية (59 -65-73- 85)

[1] – يحي بن مُحَمَّد حسن بن أحمد زمزمي،**الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب و السنة** ،دار التربية والتراث ،مكة المكرمة ،ط1 ، ص 296-297.

[2] – الصلاّبي ،علي مُحَمَّد مُحَمَّد ، المرجع السابق، ص 199.

[3] – □نطاوي، مُحَمَّد سيد، المرجع السابق، ص 27.

قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليه السلام كلهم بدأ بنفس الكلمة وقالوا نفس اللفظ،[1] وبعدها ينتقلون للدعوة إلى أمور أخرى كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وفعل الواجبات، وترك المحرمات كما قال تعالى:« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ » سورة النحل: الآية (36) [2].

–ثانيا: الجمع بين التبشير والإنذار:

إن التبشير والإنذار من أهم وأبرز ما اعتمد عليهما الأنبياء في خطاباتهم لأقوامهم

والتبشير: إخبار فيه سرور، أمّا الإنذار إخبار فيه تخويف.

والله عز وجل قد أرسل الأنبياء مبشرين ومنذرين قال جلَّ جلاله: « رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » سورة النساء: الآية (165).ولكن بأي شيء يبشرون؟ ومن أيّ شيء يخوّفُونَ وينذِرون ؟

فلنتدبّر ما جاء في الذكر الحكيم: « وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ » سورة الأنعام: الآية (48– 49) [3].

ومن بين الأنبياء الذين جمعوا بين التبشير والإنذار في دعواتهم لأقوامهم تذكير الرسول ﷺ المشركين في مواقف عديدة بقدرة الله ووحدانيته وألوهيته وتخويفهم من عذابي الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى:« قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ » سورة الأنعام: الآية (40– 41).

وقال أيضا: « قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » سورة الأنعام: الآية (46– 47).

---

[1]– زمزمي يحي بن محمّد بن أحمد ، المرجع السابق، ص 296– 297.

[2]– ربيع بن هادي عمير المدخلي، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة، والعقل** ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، دت، ص 21.

[3]– محمّد الراوي، المرجع السابق،ص 399.

أما بقية الأنبياء عليهم الصلوات الله وسلامه فقد استخدموا هذا الأسلوب كثيرا فتارة يذكّرون بالفضائل والنّعم المشهودة وتارة يذكرون بعذاب الدنيا وأخذ الله عز وجل الظالمين بصور مختلفة من الهلاك، وتارة أخرى يذكرون بعذاب الآخرة والوقوف بين يدي الله تعالى .

فهذا نوح عليه السلام ينذر قومه عذاب الله الأليم قال تعالى: « وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ » سورة هود: الآية (25– 26)

وأما شعيب عليه السلام فلفت نظرهم إلى نعمة تكثيرهم وإلى النظر في عاقبة المفسدين قال تعالى: « وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ » سورة الأعراف:الآية (86)، وهذا موسى عليه السلام يعظ قومه ويذكرهم فيحشد لهم ألمع الذكريات، وأكبر البشريات، وأضخم المشجعات، وأشد التحذيرات قال تعالى:« يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٠ » سورة المائدة: الآية (20) [1] .

ثالثا: البساطة في الدعوة وعدم التكلف والتعقيد

وهذه السّمة واضحة في دعوة جميع الأنبياء فإنهم يسيرون مع الفطرة ويخاطبون الناس على قدر عقولهم، ولا يتكلفون في دعوتهم بل يسلكون الطريق الحكمة في الدعوة والتبليغ فهذا سيد الرسل ﷺ يقول على لسانه القرآن « قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ » سورة ص: الآية (86 – 87) [2].

وما من رسول أُرسلَ إلى قوم ما إلا بلسان وبيان يفهمه المرسَلُ إليه لأنّ المخاطب والمرُسَل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه، فحالهُ – قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده – سواء إذ لم يفدْهُ و الرسالةٌ شيئا كان به قبل ذلك جاهلاً، والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه، لأنّ ذلك فينا من فعْل أهل النقص والعبثِ والله تعالى عن ذلك متعال،ولذلك قال جل ثناؤه: « وَمَاأَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ »سورة إبراهيم:الآية (43)[3]

[1]– أنظر: يحي بن محمّد حسن بن احمد زمزمي، المرجع السابق، ص 439– 443.

[2]– أنظر : الصابوني ،محمّد علي ، المرجع السابق، ص 35– 36.

[3]– الطبري، أبو جعفر، **تفسير الطبري**، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1، 1994، ص 31.

إنّ المتتبع لدعوة الأنبياء عليهم السلام نجدها كلهاَ بعيدة عن الأساليب الصناعية والتصنع وعدم التكلف فخطاب الناس وإقامة الحجة عليهم بالمنطق والبرهان العقلي الذي يفهمه الكبير والصغير والعالم والجاهل[1].

المطلب الثاني: أدب الأنبياء عليهم السلام في خطابهم لأقوامهم

إنّ الدعوة إلى الله هي مهمة الأنبياء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد ومن النار إلى الجنة ...والمتأمل في دعوتهم لوات الله عليهم وسلامه يطّلع على أخلاق وآداب ميزتهم في تعاملهم مع الناس وفي دعوتهم إياهم ومن بينها:

أولا: تقديم أنفسهم لأقوامهم على أنهم رسل من الله يرجون لهم الخير

ومن ذلك قوله تعالى :« وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ﷺ » سورة الصف :الآية (5) وقوله على لسان سيدنا هود عليه السلام:«قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ » سورة الأعراف: الآية (67).

ومن شأن هذا التقديم الإستجابة لدعوتهم ورسالتهم فهم لا ينسبون الدعوة لأنفسهم، ولا يظهرون أن لهم ميزة على غيرهم ولكنهم يحملون رسالة ربهم إلى خلقه.

ثانيا: إظهار الشفقة عليهم والرحمة بهم لما في ذلك من تليين لمواقفهم واستمالتها نحو الحق.

من ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:« وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﷺ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ » سورة هود: الآية (25 – 26) [2].

ثالثا: التواضع وتجنب الغرور.

لهما أثر كبير في استثارة جوانب الخير في نفوس المدعوين وتليين مواقفهم وقد إلتزمها الأنبياء بهذا الأدب الرفيع، فهذا شعيب عليه السلام يخاطب قومه بكل تواضع وأدب ولطف ورقة قال تعالى:« قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ » سورة هود :الآية(88).

[1]– الصابوني ،أنظر محمّد علي ، المرجع السابق، ص 36.

[2]– عبد الرحمن مسعود إبداح، **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، دروب للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن، دط، 2016، ص 132.

ولنتأمل تلك التوجيهات السديدة التي يلقنها الذكر الحكيم للنبي ﷺ آمرا إياه أن يقولها لقومه بكل تواضع وشجاعته وحكمة فيقول:« قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ » سورة سبأ: الآية (24– 26)[1].

رابعا: النصح لأقوامهم.

كقوله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: « قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ »سورة الأعراف:الآية(61– 62).

وقوله أيضا عن نبيّه هود عليه السلام: « يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ أَمِينٞ نَاصِحٞ » سورة الأعراف: الآية (67– 68)، وقوله تعالى عن نبيه صالح عليه السلام بعد هلاك قومه: « فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ » سورة الأعراف: الآية (79).

ولقد بلغ النّصح الشفقة على الناس من نبينا مُحَمَّد ﷺ حتى كاد هذا الأمر أن يهلكه فخاطبه الله عز وجل قائلاً:« لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ » سورة الشعراء: الآية (3) فكان يحزن حزنا شديداً على عدم إيمانهم نصحا لهم وشفقة عليهم [2].

خامسا: الصدق.

وهو محور النبوة ومدار ارتكازها فكل ما تلفظه الأنبياء صدق خالص لا يمكن أن يجافي الواقع أو الحقيقة وعندما يشرح القرءان الكريم فضائل الأنبياء يشير إلى هذه الصفة عندهم.

لقد وصف الله تعالى أنبياءه بالصدق كقوله عن إبراهيم عليه السلام: « وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ » سورة مريم: الآية (41)، وقوله تعالى عن موسى عليه السلام: « قَالَ حَقِيقٌ

[1]– أنظر: النطاوي ،مُحَمَّد سيد ، المرجع السابق، ص 30.

[2]– الصلابي، علي مُحَمَّد ، **الإيمان بالرسل والرسالات** ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 242– 243.

عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ » سورة الأعراف: الآية (105)، وقوله في حق نبّينا مُحَمَّد ﷺ صلى الله عليه وسلم: « وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ »سورة الأحزاب :الآية (22) [1].

سادسا: الصبر

الصبر على ما يلاقي في سبيل الدعوة إلى الله من المشاق وما يواجه من أذى الناس، لأن ﷺريق الدعوة ليس مفروشا بالورود، وإنما هو محفوف بالمكاره والمخا ﷺر، وخير أسوة في ذلك هم أنبياء الله ﷺلواته عليهم أجمعين فيما واجهوا من أقوالهم من الأذى والسخرية كما قال تعالى: « وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ » سورة الأنعام:الآية(34).[2]وقال تعالى: عن بعض أنبيائه قولهمۡ: « وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ » سورة إبراهيم: الآية (12) [3].

سابعا: الوفاء

وأمّا ﷺفة الوفاء فهي بارزة في حياة الأنبياء عليهم السلام الذين بلّغوا الرسالة وأدوا الأمانة وجاهدوا في الله حق جهاده، فمنهم إبراهيم عليه السلام الذي قال عنه ربه تعالى:« وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ » سورة النجم:الآية (37) :أي بلّغ جميع ما أُمر به [4] .

إنّ الأنبياء الكرام بنو خطاباتهم لأقوامهم على المنطق السليم وعلى الأدب الرفيع، و الصبر الجميل و الصراحة في القول، وحب الخير لمن يخا ﷺبونهم، و الحرص التام على أن يبلغوا رسالات الله إلى أقوامهم دون أن يخشوا أحد سوى خالقهم عز وجل.

أما أقوامهم فقد كانت خطاباتهم لأنبيائهم تقوم على السفاهة والتطاول والكذب والاستخفاف بأنبيائهم وو ﷺفهم بأقبح الصفات وأسوأ النعوت، لذا كانت نهايتهم كما قال سبحانه: « فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ » سورة العنكبوت: الآية (40)[5]

---

[1]– الصلابي، علي مُحَمَّد ، المرجع السابق، ص 79– 80.

[2]– ربيع بن هادي عمير المدخلي، المرجع السابق، ص 21– 22.

[3]– الصلابي، علي مُحَمَّد مُحَمَّد ، المرجع السابق، ص 244– 245.

[4]– المرجع نفسه، ص 252.

[5]– ﷺنطاوي، مُحَمَّد سيد ، المرجع السابق، ص 174.

المطلب الثالث: ملامح الخطاب الناجح من خلال مناهج الأنبياء في خطاباتهم لأقوامهم

أولا: الإعداد الجيد للخطاب.

إن عملية الخطاب هي عملية جدلية يسعى كل طرف من الأطراف المتخاطبة من خلالها لإقناع الآخر بما يراه هو حقا من وجهة نظره وحتى يتمكن المخاطب من ذلك لابد من توافر عناصر تجعله يصل إلى إقناع مخاطبه بمبدئه وقضيته التي يدافع عنها وهذه العناصر من الأدوات والمهارات التي تستخدم في عملية الخطاب ومن هذه الأدوات:[1]

– تحديد الشخصية

أغلب الخطابات الفاشلة ترجع إلى عدم ومعرفة المخاطِب للطرف المقابل له معرفة دقيقة، لأن الجهل يؤدي إلى سوء الفهم بكل تأثيراته السلبية التي تصل إلى حدّ الإنشقاق والتفرقة والمعرفة الدقيقة لشخصية الآخر وظروفه وبيئته واهتماماته ومبرراته في التمسك بما يقول وذلك هو الطريق إلى تحديد الأسلوب المناسب للتخاطب معه، والمفتاح الصحيح لفتح قلبه والقرب منه وضبط أعصابه[2].

– ترتيب الأفكار

إن الحرص على ترابط الأفكار وتسلسلها يسهل عملية استذكارها وعدم نسيانها لأنّه كثير ما يفشل خير المخاطبين في خطاب بعض البسطاء بسبب عرضه لأفكار متعددة في توضيحية لقضية بسيطة فتزدحم الأفكار في ذهن ذلك البسيط فيضطرب إدراكه، ولو أنّه تم الإكتفاء بفكرة أو فكرتين لكان أرجى لإدراكه وأيسر لفهمه وأقرب لاستيعابه وإلى جانب ما سبق فمن عوامل الخطاب الناجح في القرآن الكريم قوله تعالى: « قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ » سورة طه:الآية (25- 32).[3]

[1]– حميد بن محمّد لحموي، **منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم – دراسة مقارنة** ، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2012، ص 80.

[2]– الحاشدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده :**فن الحوار – آدابه – صفاته** ، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية ، دط ، دت ، ص 93.

[3]– حميد بن محمّد لحموي، المرجع السابق، ص 81-82.

إنّ قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركان المناقشة للخطاب الناجح، فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه وكم من باطل ظهر[1].

ثانيا : براعة الاستهلال في فتح باب الخطاب.

براعة الاستهلال هو ابتداء الكلام بما يناسب المقصود ويلخ المراد لأي خطاب وهذا أمر له أثره في إنجاح الخطاب وجدب المستمع ، وانتزاعه من مشاغله وأسْر فؤاده وتشويقه وجعله منتبها ومتتبعا لكل مجريات الخطاب.

والمتتبع لخطابات الأنبياء لأقوامهم من خلال القرءان الكريم يجد هذا الأسلوب حاضرا بقوة في مخاطبتهم[2] ومناقشتهم معهم، فيصدرون خطاباتهم بألفاظ مختارة بعناية لها أثرها الكبير في حسن التواصل مع أقوامهم ومن الأمثلة على ذلك ما جاء على لسان نوح عليه السلام: « لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ » سورة الأعراف: الآية (59– 62).

إذ عبّر في ندائه بكلمة " يا قوم " وهذا ليبن نُصحه عليه السلام وإرشاده وشفقته عليهم حيث خاف عليهم العذاب الأبدي.[3]

ثالثا: مراعاة الظروف من كافة نواحيها

فقد يكون الوقت غير ملائم لانشغال الناس بأمر آخر، وقد يكون المكان ليس مناسباً كأماكن اللّهو والفسق وقد تكون الحالة النفسية والاجتماعية أو غيرها لا تشجع على الدعوة، ولذلك يقول الله تعالى: « فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ » سورة الأعلى: الآية (9) ويقول أيضا: « وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ » سورة الأنعام: الآية (68)[4]

[1]– الحاشدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد ، المرجع السابق، ص 105.

[2]– حميد بن محمّد لحموي، المرجع السابق، ص 83.

[3]– المرجع نفسه، ص 83.

[4]– أحمد أحمد غلوشن ، المرجع السابق، ص 564.

رابعا: مباغتة الخصم وقطع الطريق عليه.

قد يخرج الخصم المعاند للحق بصورة المنتصر أو □احب الحجة والحق، عندها ينبغي للمخا□ب أن يفاجئ خصمه بحجج مسكتة، وحقائق مذهلة تقطع عليه الطريق وتوقفه عند حده، وتخا□ عليه أموره، فيتحير في الرد ويتلعثم في الجواب وأقل ما يستفاد من ذلك أن يتوقف الحوار عند حد لا تظهر فيه الغلبة لأحد الطرفين.

وقد يكون الذي يفاجئ به الخصم دليلا شرعيا ونصا واضحا لا يمكن رده ولا تأويله .

وقد يكون حقيقة كونية أو معلومة بديهية يصعب معارضتها ويستحيل إنكارها.

وربّما يكون غير ذلك مما يمكن أن يباغت به الطرف الآخر ويقطع عليه □ريق المراء والجدل ،ولعل أبرز شاهد لهذا ذلكم الخطاب الذي وجهه موسى عليه السلام لفرعون: لما كابر فرعون وعاند فادعى الألوهية من جهة، وأنكر وجود إله غيره من جهة أخرى كما في قوله تعالى :« قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾» سورة الشعراء:الآية (23) وهذا سؤال المتنكر للقول، وكأنه يراها غير ممكنة التصور، وغير قابلة لأن تكون موضوع حديث فيجيبه موسى عليه السلام جوابا يكافئ ذلك التجاهل ويغطيه: « قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ » سورة الشعراء: الآية (24) [1] .

وهنا خاف الطاغية من تسرّب كلمات الحق الصريحة إلى قلوب سامعيه، فيلتفت إليهم مظهر التعجب: « قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ » سورة الشعراء: الآية (25) فهنا لم يلبث موسى أن هجم عليه وعليهم بصفة أخرى من □فات رب العالمين: « قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ »سورة الشعراء: الآية(26) وهذه أشدّ مساسا بفرعون ودعواه، فهو يجبه بأن رب العالمين هو ربه ورب أتباعه، هنالك اتهم فرعون قائلها بالجنون: «قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ » سورة الشعراء: الآية (27) ولكن هذا التهكم لا يمنعه عليه السلام من أن يمضي في □ريقه فيصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين ويباغت فرعون وس□ قومه ويقطع حجته: « قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ » سورة الشعراء: الآية (28). فهذا الموقف الضعيف من فرعون ما كان ولم يكن لولا براعة موسى بتأييد الله له في مباغتته فرعون بدليل تلو دليل، وقطع حججه واحدة بعد الأخرى، وإحراجه بما لم يكن يتوقعه، واستدراجه إلى معركة لم يحسب لها حساب[2].

[1]– أنظر : يحي بن محمّد حسن ين أحمد زمزمي، المرجع السابق، ص 470– 471.

[2]– المرجع نفسه، ص 471.

الفصل الثالث: خطاب عيسى عليه السلام لقومه في القرآن الكريم – دراسة تطبيقية–

– المبحث الأول: محاور خطاب عيسى عليه السلام لقومه في القرآن

– المطلب الأول: خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد

– المطلب الثاني: خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل

– المطلب الثالث: خطاب عيسى عليه السلام للحواريين

– المطلب الرابع: خصائص خطاب عيسى عليه السلام لقومه

– المبحث الثاني : دراسة بلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لقومه

– المطلب الأول:أساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد

– المطلب الثاني:أساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل

– المطلب الثالث:أساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام للحواريين

المبحث الأول:محاور خطاب عيسي عليه السلام لقومه في القرآن الكريم.

جاء عيسي عليه السلام مجددا لدعوة موسى عليه السلام، وأنزل الله عليه الإنجيل مصدقا لما بين يديه من التوراة، قال تعالى: « وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ »[1].

أخذ عيسي عليه السلام يبشر في الناس برسالته ويدعوهم إلى إتباعه ويسعى أن يرُدَّهُمْ عن زيغهم ويصدهم عن ضلالهم ويخرجهم من الظلمات إلى نور الإيمان، حاله في هذا كحال غيره من الأنبياء.

وللتعرف على تبليغ رسالته عليه السلام ونستعرض خطاباته لقومه كما حكى لنا القرآن الكريم، وهذا الذي نورده في هذا المبحث الذي يشمل خطابه لقومه في المهد، وخطابه لبني إسرائيل والحواريين.

– المطلب الأول:خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد.

كل نبي أرسله الله لقومه وتلقى المهمة للصّدع بالرسالة في مرحلة من حياته بعد بلوغه الأشد لكن عيسي عليه السلام حمل الأمانة ومسؤولية الكلمة مند اللحظة الأولى لولادته وطوال حياته.

وقد كان أول كلام تفوه به عليه السلام وهو في المهد مخاطبا قومه قوله: « قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا »[2].

لقد خاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها أو ابنا للإله تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى فيقولون (إني عبد الله)[3] وأمّا التعبير عن إيتاء الكتاب بفعل المعنى مراد به أن الله "قدّر إيتائه إيّاه، أي قدر أن يؤتيني الكتاب، والمراد بالكتاب الإنجيل الذي خاطب الله به عيسى عليه السلام[4].

---

[1]– سورة المائدة: الآية (46).

[2]– سورة مريم: الآية (30–33)

[3]– السعدي، عبد الرحمان بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 2002،ص492.

[4]– أنظر : محمّد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس،دط،1984، ج16،ص98.

والمباركُ: الذي تقارن البركة أحواله في أعماله ومحاورته ونحو ذلك، لأن المبارك اسم مفعول من باركه،إذ جعله ذا بركة، أو من بارك فيه، إذ جعل البركة معه، فالله عز وجل أرسله برحمة لبني إسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيروا من دينهم، فهذه أعظم بركة، ومن بركته أن جعل الله حلوله في المكان سببا لخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها وتوفيقهم إلى الخير، ولذلك كان عليه السلام إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون انقلبوا □الحين وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة.

كما أخبرهم بأن الله أو□اه بالصلاة، والزكاة، أي قدّر و□يتي بالصلاة والزكاة، أي أن يأمرني بهما أمرا مؤكدا مستمرا، فاستعمال □يغة المضي في " أو□اني" مثلا استعمالها في قوله:«أتاني الكتاب»، وهذا أمر خاص به وقرينة الخصوص قوله: «ما دمت حيا» لدلالته على استغراق مدة حياته بإقامة الصلاة والصدقة، وو□اني أيضا أن أبرّ بوالدتي وأحسن إليه وقد خصه الله تعالى بذلك بين قومه لأن بر الوالدين كان ضعيفا، وجعلني متواضعا غير متكبّر على الناس في معاملتهم، وقوله: «وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ » تنويه بكرامته عند الله، فقد أجراه على لسانه ليعلموا أنه بمحل العناية من ربه[1].

وأما قوله: « إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا □راط مستقيم» هو من تمام كلامه عليه السلام لهم في المهد فقد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلهاهم فأخلصوا له العبادة واجتهدوا فيه الإنابة، وأن هذا هو ال□ريق المستقيم المعتدل المو□ل إلى الله، ولكونه طريق الرسل وأتباعهم وما عدا هذا فإنه من طرق الغي والضلال[2].

المطلب الثاني: خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل في القرآن الكريم

أرسل الله عز وجل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل لتبليغ واجب الدعوة إلى الله كغيره من الأنبياء وقد □رّح القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام (المقفّى)، قفّى الله به على آثار الأنبياء السابقين وبعثه بعدهم وهو آخر أنبياء بني إسرائيل قال تعالى: « وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ » [3].

□رح عيسى عليه السلام بإخباره برسالته بأنها من جانب الله تعالى لا من جانب نفسه فأخبر بنبوة أنبياء ثلاثة، في الماضي والحال والاستقبال؛ أي موسى ونفسه وأحمد □لوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال تعالى: «وَإِذۡ قَالَ

[1]- أنظر: مُحَمَّد ال□اهر بن عاشور ، المرجع السابق، ص99-100

[2]- أنظر: السعدي ،عبد الرحمان بن نا□ر ، المرجع السابق، ص493.

[3]- سورة المائدة : الآية (46).

عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ » سورة الصف: الآية (6) [1] .

لقد نادى عيسى عليه السلام قومه بعنوان «بني إسرائيل» دون «يا قوم»، لأن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام اشتهروا بهذا اللقب ولم يطلق عليهم قوم موسى، إلا في مدة حياة موسى خاصة فإنهم إنما صاروا أمة وقوما بسببه وشريعته، وأما عيسى فإنه كان مرسلا بتأييد شريعة موسى والتذكير بها وتغيير بعض أحكامها، ولأن عيسى حين خاطبهم لم يكونوا قد اتبعوه ولا صدقوه فلم يكونوا قوما خالصين[2].

وفي قوله عليه السلام «إني رسول الله إليكم» أي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير وأنهاكم عن الشر ومما يدل على صدقي كوني «مصدقا لما بين يدي من التوراة» أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة والشرائع السماوية، ولو كنت مدعيا للنبوة، لجئت بغير ما جاءت به المرسلون « ومصدقا لما بين يدي من التوراة» أيضا أنها أخبرت بي وبشرت، فجئت وبُعثت مصدقا لها « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وهو مُحَمَّد بن عبد المطلب النبي الهاشمي ﷺ.

فعيسي عليه السلام كالأنبياء يصدّق بالنبي السابق ويبشر بالنبي اللاحق بخلاف الكذابين، فإنّهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق[3].

خاطب عيسى عليه السلام بني إسرائيل ودعاهم إلى توحيد الله وإفراد الألوهية والربوبية بقوله: « فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١ » [4] ،وذلك بفعل ما أمر به الله وترك ما نهى عنه وأطيعوني فإنّ طاعة الرسول طاعةٌ لله، كما استدل بتوحيد الربوبية الذي يقر به كل أحد، وبما أنّ

الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعما ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نألهُهُ بالحبّ والخوف والرجاء والدعاء وجميع أنواع العبادات، وهذا هو الطريق الموصل إلى الله سبحانه وإلى جنته وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم [5].

---

[1]– رضا الصدر، **المسيح في القرآن**، دار الأرقم للطباعة والنشر ، لبنان ، ط، 1413 هـ، ص59.

[2]– مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق،ج28، ص180.

[3]– السعدي، عبد الرحمان بن ناصر ، المرجع السابق، ص 859.

[4]– سورة آل عمران: الآية (50-51).

[5]– أنظر: السعدي، عبد الرحمان بن ناصر ، المرجع السابق، ص132.

وفي خطاب آخر دعاهم أيضا إلى عبادة الله وعدم الشرك به قال تعالى: « يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ » [1].

لقد أخبرهم روح الله عليه السلام بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق العبادة، لأنه رب الخلق أجمعين، فكل الناس مربوبون له ولا تجوز العبادة لغيره، وتبّين هذه الآية أن بني إسرائيل قد انحرفوا عن شريعة موسى عليه السلام، وكانوا يعبدون غير الله، وقام عيسى لإرجاعهم إلى عبادة الله، ففي قوله « ربيّ وربّكم » دلالة على أن رب كل واحد.

وأمّا في قوله: «إنه من يشرك بالله فقد حرّم عليه الجنة ومأواه النار»، فإنه لم يكتف بالأمر بعبادة الله فقط، بل أنذرهم وهددهم بأنّ من يشرك بالله يكن محروما من دخول الجنة، ومأواه النار[2].

استمرّ عليه السلام بالتلطف مع قومه في الخطاب مبيّنا لهم طريق الحق والصواب ومستدلا بالبيانات والخوارق التي أجراها الله على يده في مواجهتهم، ومع ذلك نكروا خطاباته لهم، واختلفوا شيعا وأحزابا قال تعالى: «وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٦٥ » [3].

إنّ ابتداؤه بإعلامهم أنه قد جاءهم بالحكمة والبيان (وهو إجمال حال رسالته) كان ترغيب لهم في وعي ما سيلقيه إليهم من تفاصيل الدعوة المفرع بعضها على هذه المقدمة بقوله: «فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه »، والحكمة هي معرفة ما يؤدي إلى الحسن بالكف عن القبيح وهذه هي النبوة [4].

فلما جاءهم عيسى بذلك «اختلف الأحزاب » المتحزبون على التكذيب « من بينهم » كلّ من قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة، وردّ ما جاء به، إلا من هدي الله من المؤمنين اللذين شهدوا له بالرسالة وصدقوا بكل ما

[1]– سورة المائدة: الآية (72).

[2]– رضا الصدر: المرجع السابق، ص85-86.

[3]– سورة الزخرف: الآية (63-65)

[4]– محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ص246.

جاء به، وقالوا إنه عبد الله ورسوله، « فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم» أي ما اشدّ حزن الظالمين وما أعظم خسارتهم في ذلك اليوم.[1]

وفي موضع آخر نرى قومه عليه السلام يكذبونه ويتهمونه بأنه ساحر عندما قدم لهم الدليل الدال على صدق رسالته قال تعالى: « ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦ ﴾ »[2].

لقد قدّم لهم خوارق ومعجزات متعددة تثبت نبوّته، فهذا طين مصور على شكل طائر ينفخ فيه فيكون طيرا حياّ بإذن الله، وأن شيئا غير الجسم وليس من جنسه تغلغل فيه فكانت معه الحياة، وهذا إنسان قد أصابه الموت يناديه عيسى فإذا هو حي يجيب نداء من نداه....وبالرغم من تلك المعجزات الباهرة التي تحرس الألسنة، وتطمئن كل مرتاب، لكن قومه وصفوه بالساحر وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعوته، وتكوين المؤامرات ضده، كما أرادوا قتله[3]. قال تعالى: « ﴿ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ۝١١٠ ﴾ »[4]

المطلب الثالث: خطاب عيسى عليه السلام للحواريين.

عندما أعلن رسول الله عيسى عليه السلام منهج الحق وجد أنصار الظلم و البغي غير مستعدين للإيمان بالله عندها أحس عليه السلام منهم الكفر فاستشار من يجد لنفسه العون على حمل لواء الدعوة معه، وهذا ما يرويه القرآن في قوله تبارك وتعالى: « ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ »[5] ،فلما استشعر عليه السلام من اليهود التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال(من أنصاري إلى الله) أي من أنصاري في الدعوة إلى الله أو من يبتغي إلى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي؛ قال المؤمنون الأصفياء من اتباعه نحن أنصار دين الله (أمنا واشهد بأنا مسلمون) أي صدقنا بالله وبما جئتنا به واشهد بأننا منقادون لرسالتك مخلصون في نصرتك[6] .

[1]– السعدي، عبد الرحمان بن ناصر،المرجع السابق، ص769.

[2]– سورة الصف: الآية (6).

[3]– أنظر: طبارة عفيف عبد الفتاح ، **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، دار العلم الملايين، بيروت،ط15،1985، ص 325-226.

[4]– سورة المائدة: الآية (110).

[5]– سورة آل عمران : الآية (52)

[6]– الصابوني، محمّد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم ، بيروت، ط1، 1998،،ج1، ص205.

وبعد إعلان أتباع المسيح عيسى عليه السلام إيمانهم بالله عز وجل طلبوا منه أمرا خارقا كما يخبرنا الله عز وجل في قوله: « هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ » ، وأرادوا هذا الطلب ليحصل لهم مزيد الطمأنينة ذلك أن مشاهدة مثل هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة ولهذا السبب قالوا وتطمأن قلوبنا، وأما جواب نبيهم عليه السلام لهم فقد أمرهم بتقوى الله لتصير تقواهم وسيلة إلى حصول هذا المطلوب المعجزة، لكن أتباعه بينوا له بأنهم أرادوا تلك المائدة للأكل منها لأن الجوع قد غلبهم وأيضا ليكونوا عليها من الشاهدين لله بكمال القدرة وله بالنبوة [1].

فلمّا قام الحواريون مع عيسى عليه السلام بنصر دين الله، وإقامة شرعه آمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة قال تعالى:« فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ » [2]،كما تشير آية أخرى لمصير المتكبرين الجاحدين لدعوة عيسى عليه السلام إذ يقول سبحانه: «فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ » [3].

المطلب الرابع: خصائص خطاب عيسى عليه السلام لقومه.

بالنّظر إلى خطاب عيسى عليه السلام لقومه سواء في المهد أو خطابه لبني إسرائيل أو خطابه للحواريين يتبين لنا ما يأتي:

قام خطابه عليه السلام على توحيد الله الخالص من أي شائبة، وعدم الشرك به وتوحيد الألوهية والربوبية، ويتجلى ذلك في قوله تعالى:«إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١ » [4] وهذه الحقيقة لا تختلف عن حقيقة خطابات الأنبياء من قبله.

---

[1]- الرازي، محمد فخر الدين، **التفسير الكبير** ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،ط1، 1981،ج12، ص 137.

[2]- سورة الصف: الآية (14)

[3]- سورة النساء: الآية (173)

[4]- سورة آل عمران: الآية (51)

– دعا إلى ضرورة الالتزام بمكارم الأخلاق كالإحسان إلى الوالدين والتواضع وعدم التكبر على الناس وذلك بقوله: «وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ » [1].

– دعا قومه إلى الطريق القويم مستدلا بالبيانات والبراهين التي تثبت مصداقيته في دعوى النبوة قال تعالى:« وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِى تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ ﴿٦٣﴾ » [2].

– أنذر قومه عاقبة الشرك بالله وهي الحرمان من الجنة التي فيها السعادة الأبدية والدخول إلى النار التي فيها الشقاء الأبدي قائلا: « إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ » [3] ، كما أنذرهم عذاب الله الأليم بقوله: « فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ » [4].

–من أهم الملامح التي تبين نجاح خطاب عليه السلام أنه كان بارعا في فتح باب الخطاب، ذلك أنّه بدأ خطابه لبني إسرائيل بلفظ مختار له أثر كبير في حسن التواصل معهم بقوله: « يا بني إسرائيل» فهذا النداء له دور كبير في نفوسهم من خلال ما يتضمنه من رفق ، ولين ، وتواضع.....

ورغم وضوح دعوة ابن مريم عليها السلام إلى التوحيد، وتعبيراته المباشرة التي تخلوا من أي غموض في إثبات العبودية لله لا إلى نفسه وإثبات الألوهية إلى الله وحده متخذا بذلك من وسائل الإقناع ما فيه ترغيب وترهيب، فإن القوم أنكروا الدعوة وجحدوا بها، كما وقعوا في المحضور وأشركوا بالله وقالوا بالتثليث (سبحان الله عما يقولون) وهذا ما ذكره الله في قوله: « لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴿٧٣﴾ » [5].

[1]– سورة مريم: الآية (32)

[2]– سورة الزخرف: الآية (63)

[3]– سورة المائدة: الآية (72)

[4]– سورة الزخرف: الآية (65)

[5]– سورة المائدة: الآية (73).

المبحث الثاني: دراسة بلاغية لآيات خطاب عيسى عليه السلام لقومه

إنّ باب علم المعاني والبيان والبديع باب رفيع المنزلة شامخ في الشرف بعيد الغاية عظيم الفائدة، حظي بحيز وافر من الدراسات وما من دراسة إلا وأفردت لها جانبا أساسيا لتتبع جماليتها وأثرها في بناء الخطابات ومدى تأثيرها على القلوب والعقول، ولعلّ المنبع الأول الذي نستقي منه هاته الدراسة هو ما تضمنه القرآن الكريم من خطابات وخاصة تلك التي كانت بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم، وهذا ما نتطرق إليه في ثنايا هذا المبحث من خلال تطبيق هذا الباب على نماذج من الآيات القرآنية التي تبين خطاب عيسى عليه السلام لقومه .

المطلب الأول: الأساليب البلاغية الواردة في خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد

لقد سلك خطاب عيسى عليه السلام لقومه مناهج مستوحاة من طبيعة القرآن الكريم ومستنبطة من أهم خصائصه، وهي تلك الأساليب البلاغية التي خدمتْ خطابه عليه السلام من أساليب متنوعة في علم المعاني والبيان والبديع.

أو : أساليب علم المعاني

الآيـــة	رقم الآية	السورة	أساليب علم المعاني	الغرض
« قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ»	30	مريم	التأكيد (إنّي عبد الله)	التبرئة
«وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ »	31	مريم	التقديم (تقديم الصلاة على الزكاة)	الإقرار

من خلال الجدول يتبين وجود مسألتين فقط من مسائل علم المعاني وهما التأكيد والتقديم.

– التأكيد:

أتى في قوله تعالى : « قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ » [1] ،" وذلك أن عيسى عليه السلام أكد لقومه بأنّه عبد الله خلقه من دون أب، وقدم لهم ذكر العبودية ليبطل قول من ادّعى فيه الربوبية"، [2] وكان غرضه التبرئة وإزالة التهمة.

[1]– سورة مريم: الآية (30).

[2]– أنظر: الصابوني، محمّد علي، مرجع سابق، ص 215.

التقديم:

جاء في قوله عز وجل « وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ » [1]، و"يسمى هذا النوع من التقديم بالتقديم المعنوي، ومن دواعيه تقديم الأشرف وذلك بتقديم الصلاة على الزكاة لأن منزلة الصلاة أعلى من منزلة الزكاة "[2].

ثانيا: أساليب علم البيان

الآية	السورة	رقم الآية	أساليب علم البيان	الغرض
« وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ »	مريم	33	التعريض (تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود)	المناكرة والعناد

***قراءة في الجدول:**

[1]– سورة مريم: الآية (31).

[2]– أنظر: الزركشي ،بدر الدين محمد بن عبد الله ،**البرهان في علوم القران** ،تح:محمد ابو الفضل إبراهيم ،دار التراث،القاهرة،دت،ص253.

ورد التعريض في قوله سبحانه: « وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ »[1]، وهو الصورة البيانية الوحيدة الواردة في خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد ، وقد جاء السلام على عيسى عليه السلام في المواضع الثلاثة (الولادة، الموت ، البعث) وكان معرّفا للجنس تعريفا باللعنة على متهمي مريم وأعدائها عليها السلام من اليهود، فإنّه إذا قال جنس السلام علي خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم، ونظيره قوله تعالى: (والسلام على من اتبع الهدى) يعني أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام مناكرة وعناد[2].

ثالثا:أساليب علم البديع.

الآيـــــة	السورة	رقم الآية	أساليب علم البديع
« كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ »	مريم	30-29	الجناس(صَبِيًّا - نَبِيًّا)
« وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ »	مريم	32-31	السجع (حَيًّا-شَقِيًّا)
« وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا »	مريم	33	الطباق (وُلِدتُّ أَمُوت)

*** قراءة في الجدول:**

تنوعت المحسنات البديعية من جناس وسجع وطباق.

– الجناس:

[1]– سورة مريم : الآية (33)

[2]–الألوسي، البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت، ج16، ص 90

ورد في كلمتي (صَبِيًّا و نَبِيًّا) من قوله تعالى: « كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ » [1] ويقال له أيضا التجنيس والتجانس والمجانسة ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النظير وتمكّن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها، وهذا يكون فيع إستدعاء لميل السامع والإصغاء إليه، لأنّ النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب [2].

–السجع:

وهو ثاني المحسنات البديعية التي تضمنها الجدول بعد الجناس ويتجلّى في قوله تعالى: «وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ »[3] في كلمتي (حَيًّا) و(شَقِيًّا) ويسمى هذا النوع من السجع بالمصرّف ويتمثل دوره البلاغي في توضيح المعنى وجمال الأسلوب، ورونقه [4].

– الطّباق:

ومن شواهده في قوله تعالى: « وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا » [5] وقد جاء في الكلمات (وُلِدتُّ)و(أَمُوت) و (أُبۡعَثُ) ، وهذا النوع من الطباق نستطيع أن نطلق عليه " إسم الطباق التصاعدي أو الطباق المركب، وذلك لتوالي الأحداث في قوله:"سلام الله عليّ في يوم ولادتي وفي يوم مماتي وفي يوم خروجي حيا من قبري "، فبعد الولادة يأتي الموت، وبعد الموت يأتي البعث، والموت مرحلة بين مرحلتين هما: الولادة والبعث، والولادة ضدّها الموت، والموت ضدّه البعث والأول يؤدي إلى الثاني والثاني يؤدي إلى الثالث، والثالث لا يؤدّي إلى الأول والأول لا يؤدي إلى الثالث مباشرة" [6].

المطلب الثاني: الأساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل .

– أولا : أساليب علم المعاني

---

[1]– سورة مريم : الآية (29– 30)

[2]– أحمد الهاشمي ، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص 325.

[3]– سورة مريم : الآية 32.

[4]– الصابوني ،محمّد علي، المرجع السابق، ص 216.

[5]– سورة مريم : الآية : 33.

[6]– فيصل غوادرة، **المستوى البلاغي في سورة مريم**، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 17، العدد الأول، 2009، ص 644.

الآية	رقم الآية	السورة	أساليب علم المعاني	الغرض
وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ »	49	آل عمران	– التقديم	التحدّي
			– التوكيد(أنّ + قد+ إنّ)	التقرير
«فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ »	50	آل عمران	– الأمر(اتقوا +أَطِيعُون)	الإلزام
« إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ »	51	أل عمران	– التوكيد(إنّ)	الإلزام
			– الأمر(اتّقوا + أطيعون)	الإلزام
« يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴿٧٢﴾ »	72	المائدة	– نداء(يا بني إسرائيل)	التنبيه
			– الأمر (اعبدوا)	الإلزام
« قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ »	63	الزخرف	–التوكيد (قد + الم التوكيد	التقرير
			– الأمر (اتقوا + أطيعون)	الإلزام
« يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم	6	الصف	– النداء (يا بني إسرائيل)	التنبيه

مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﷺ »			– التوكيد (إنّ)	التخصيص

*** قراءة في الجدول:**

تنوعت أساليب علم المعاني في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بين تقديم ، وتوكيد، وأمر، ونداء

– التقديم :

ورد التقديم مرة واحدة في قوله تعالى: « أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﷺ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﷺ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ »[1] ، وبالنظر إلى هذه الآيات التي قدمها عيسى عليه السلام لبني إسرائيل للتصديق برسالته نلاحظ بأنّه بدأ يذكر لهم الأعجب فالأعجب مبتدئا بأعظم المعجزات الداعيات إلى الإيمان به وعدم تكذيبه، فالتقديم هنا من باب الترقي الذي يبدأ فيه بذكر الأعلى ثم الأدنى طمعاً في إيمانهم عند مشاهدة أول الآيات، ولهذا بدأ بأعظمها[2].

– التوكيد:

تنوعت المؤكدات للجملة الخبرية المؤكدة بين " إنّ" ،و "أنّ " و" قد "،" ولام"التوكيد .

أ–التوكيد بـ " إنّ " و " أنّ"

تكررت (4) مرات، وهي حروف مشبهة بالفعل تفيد التوكيد، وكان موضعها في قوله تعالى: « أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ »، [3] ففي الآية أكّد عيسى عليه السلام لقومه بأنّه رسول الله إليهم مستدلا بالآيات التي تثبت بأنّه رسول الله حقا وكذلك قوله تعالى:" إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ " [4] ، أكّد

[1]–سورة آل عمران الآية (49).

[2]– منير محمود علي المسيري، **د ت التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، مكتبة هبة، القاهرة، ط1، 2005، ص 264.

[3]– سورة آل عمران: الآية (49).

[4]– سورة آل عمران: الآية (51).

لهم عليه السلام أيضا البراهين والدلائل التي تثبت رسالته، وفي قوله تعالى أيضا : « إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ »[1] أقرّ لقومه بأنه هو وهمْ سواء في العبودية لله جلّ وعلى، وأمّا موقع التوكيد الأخير في قوله عز وجل:« إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم »[2] حيث أكّد لهم بأنّه مرسل من عند الله ليدعوهم إلى الخير وينهاهم عن الشر.

ب– التوكيد بـ " قد "و" م التوكيد ":

جاء مرتين في قوله تعالى: « قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ »،[3] وهنا تأكيده عليه السلام لقومه بأنّه جاءهم بالآيات التي تبّين صدقه بأنه رسول من عند الله لهم، أمّا في قوله تعالى: « قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ »[4]، فقد أكّد لهم بأنه جاءهم ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه من أمور الدين، وأمّا لام التوكيد المقترنة بالفعل يبيّنُ " فقد جاءت لتفيد الزيادة في التأكيد: حيث أكدت أن المسيح عليه السلام جاء لقومه ليبيّن ما اختلفوا

الأمر :

الأمر من صيغ التعبير التي وردت في خطاب عيسى عليه السلام، وقد استعملت في مواقف دعوته إلى عبادة الله عز وجل التي تقتضي التلطف واللّين، ومن ذلك قوله تعالى : «فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ »[5] وقوله أيضا: « اعبدوا الله ربي وربكم »[6] ،والملحوظ أن أوامره عليه السلام كانت للإرشاد والنصح .

– النداء:

وقع هذا الأسلوب في موضعين في قوله تعالى : « يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴿٧٢﴾ »[7]

---

[1]– سورة آل عمران: الآية (51).

[2]– سورة الصف: الآية (6).

[3]– سورة آل عمران: الآية (49)

[4]– سورة الزخرف : الآية (63)

[5]– سورة آل عمران: الآية (50)

[6]– سورة المائدة: الآية (72).

[7]– سورة المائدة :الآية(72).

– أنظر: الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج6، ص 280.

[7]– سورة الصف : الآية (6).

وهنا اعتراف صحيح بعبودية ابن مريم عليه السلام هو أنه مخلوق مثله مثل قومه، وبالتالي اعبدوا خالقي وخالقكم [1]، وإن الغرض من هذا النداء هو التنبيه.

أما النداء الآخر ففي قوله تبارك وتعالى:« يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم »[2] والغرض منه في هذه الآية تذكير قومه وتنبيههم بأنّه رسول الله إليهم.

ثانيا: علم البيان

الآية	رقم الآية	السورة	أساليب علم البيان	الغرض
« أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ	49	آل عمران	– التشبيه	التحدّي

*** قراءة في الجدول:**

– التشبيه

أتى مرّة واحدة فقط في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل في قوله : « أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ »[3]، حيث شبه عليه السلام الطين بالطير الذي يطير في الهواء، أمّا الكاف في قوله « كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ » بمعنى مثل، وهي لفظة لموصوف محذوف دلّ عليه أخلق أي شيئا مقدّراً مثل هيئة الطّير [4]، وفي ذلك تحدّي للّذين كذبوا وأنكروا رسالته.

[1]– أنظر: الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج6، ص 280.

[2]– سورة الصف : الآية (6).

[3]– سورة آل عمران: الآية 49.

[4]– الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج3، ص 250.

ثالثا: أساليب علم البديع

الآية	رقم الآية	السورة	أساليب علم البديع
«أُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ »	49	آل عمران	طباق (أحي– الموتى)
« وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ »	50	آل عمران	طباق(لِأُحِل-حُرِّم) (لَكُم - عَلَيۡكُمۡۚ)
« ۥ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ »	72	المائدة	طباق (الجنّة – النار)

*** قراءة في الجدول**

من خلال الجدول يتبين لنا أن الطباق هو المحسن البديعي الوحيد الذي ورد في مسائل علم البديع إذ بلغ ثلاث مرات، في قوله تعالى: «أُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ » [1] .

فهذه الآية مشتملة على شيء وضده في المعنى هي (أحي) و (الموتى)، تألفت من فعل وإسم متضادين ويسمى هذا النوع من الطباق بالطباق الإيجابي، أمّا محل الطباق في الآية الأخرى من قوله تعالى: « وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ » [2] فقد اشتملت أيضا على شيء وضده في المعنى هي، هي (أحِل) و (حرّمَ)، وتألفت من فعلين متضادين، ثم (لكم) و (عليكم) تألفت هي الأخرى على متضادين من حرفين، وأمّا موقع الطباق في الآية الأخيرة يقول عز وجل : « ۥ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ » [3] ، فهي كذلك متضمنة على شيء وضده في المعنى هي (الجنة) و(النار)، يوجد فيها لفظان متضادان في المعنى مكونين من اسمين، ويسمى أيضا الطباق الإيجابي.

[1]– سورة آل عمران: الآية 49.

[2]– سورة آل عمران: الآية 50.

[3]– سورة المائدة : الآية 72.

المطلب الثالث: الأساليب البلاغية الواردة في خطاب عيسى عليه السلام للحواريين

أو : أساليب علم المعاني

الآية	رقم الآية	السورة	أساليب علم المعاني	الغرض
«فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ »	52	آل عمران	–استفهام (من أنصاري)	– التبليغ
			– التوكيد (نحن أنصار الله)	– الإلزام
			– الأمر (اشهد)	– الإلزام
			– التوكيد (أنَّا مسلمون)	– الإلزام
« رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ »	53	آل عمران	– الإيجاز	– الدعاء
			– الأمر (فاكتبنا)	– الدعاء
« إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ »	112	المائدة	– الحذف	– التخصيص
			– نداء (يا عيسى)	– التنبيه
			– استفهام (هل يستطيع)	– الإنكار
			–الأمر (اتّقوا)	– الإلزام
			– التقديم	– التخصيص

« قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ »	114	المائدة	– الإيجاز – الأمر (أنزل)	– الدعاء والتضرع – الدّعاء والتضرع

*** قراءة في الجدول:**

تنوعت أساليب علم المعاني في خطاب عيسى عليه السلام للحواريين بين استفهام وأمر ونداء وتوكيد وتقديم وحذف.

***ا ستفهام:**

جاء مرتين في قوله تعالى: « مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ »[1]، وهنا جاء من طرف عيسى عليه السلام وكان غرضه الإنكار، وأمّا الاستفهام الآخر فكان من طرف الحواريين في قوله تعالى: « هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ »[2] ، وغرضه الإنكار والتعجب.

*** الأمر:**

ورد أربع مرات جاء مرتين من طرف ابن مريم عليه السلام، ومرتين من طرف الحواريين فمن أمرهِ عليه السلام «ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ»[3] وهنا أمَرهم بملازمة التقوى، وكان غرضه الإلزام، والأمر الآخر في قوله: « ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ »[4]، وفي هذا محاولة سيدنا عيسى استعطاف المولى ليجيبه ويلبي طلبه، والأمر هنا كان غرضه الدّعاء والاستغاثة، أمّا الأمر الذي تجلى من طرف الحواريين مرّة في قولهم : « وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ »[5] ، فهم طلبوا من نبيّهم أن يشهد لهم بالإسلام بعد أن طلب النّصر منهم لإظهار

[1]– سورة آل عمران: الآية 52.

[2]– سورة المائدة: الآية 112.

[3]–سورة المائدة :الآية 112.

[4]– سورة المائدة: الآية 114.

[5]– سورة آل عمران: الآية 52.

الدعوة لله، والأخرى في قولهم : « فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ » [1] ، وهذا بقية قولهم بعد أن قالوا « ربّنا آمنا » وفرّعوا على ذلك الدّعاء دعاء بأن يجعلهم الله مع الشاهدين أي مع اللذين شهدوا لرسل الله بالتبليغ، وبالصدق، وهذا مؤذن بأنهم تلقوا من عيسى عبيه السلام فيما علّمهم إيّاه .[2]

*** النداء :**

من خلال استقراء آيات خطاب المسيح عليه السلام وجدنا أنّ النداء جاء مرة واحدة فقط في قوله سبحانه: « إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ » [3] ، والنداء هنا جاء بالحرف (يا) معْقباً باستفهام من طرف الحواريين عندما سألوا نبيهم سؤال مستخبرْ هل ينزّل ربّك علينا مائدة أم لا ؟ فإن كان ينزّل فاسأله لنا، فسؤالهم كان للإطمئنان والتثبيت وليس شكّهم في قدرة الله كما يظن البعض [4].

***التوكيد:**

تكرر مرتين فمرّة جاء بضمير الفصل نحن، ومرة أخرى بأداة التوكيد " أنَّ "

أ– ضمير الفصل " نحن "

أتى في قوله تعالى: « نحن أنصار الله »[5] ،فالضمير نحن الذي يعود على الحواريين زاد تأكيد على أنهم من أتباع رسولهم وأنصار دين الله.

ب– التوكيد بـ " أنّ"

وهو حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد في قوله تعالى: « وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ » [6] ،ففي الآية الكريمة أكّد الحواريون لعيسى عليه السلام بأن يشهد لهم بأنّهم منقادون لرسالته مخلصون في نصرته.

---

[1]– سورة آل عمران: الآية 53.

[2]– أنظر: الطاهر بن عاشور، ج3، ص 256.

[3]– سورة المائدة: الآية 112.

[4]– الصابوني، محمّد علي،المرجع السابق، ص 373.

[5]– سورة آل عمران: الآية (52).

[6]–سورة ال عمران:الآية (52).

*** الإيجاز:**

ورد مرتين في قوله تعالى:« ۞ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ » [1] وقد حذف حرف النّداء " يا " لنفي التهمة مع الإحساس بالقرب، فلماّ أحسّ أتباع المسيح عليه السلام بأنّ نبيّهُمُ غير مطمئن إلى إيمانهم ونصرتهم بسبب موقف الكفر الذي لمسه من بعضهم فدفعوا عن أنفسهم التهمة بإثبات الإيمان واتباع الرسول وإشهاده على مطلق تسليمهم « وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ » وذلك لطمأنته ثم توجّهوا إلى ربّهم يغمرهم الإحساس بالقرب ليشهدُوهُ على ذلك[2]، وأمّا موقع الحذف في الآية الأخرى في قوله تعالى: « ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ » [3] يتمثل هو الآخر في حذف حرف النداء " يا" وهنا أتى في مقام التضرع والدّعاء استشعارا للقرب من الله وطلبا لسرعة تحقيق المطلوب.

*** الحذف:**

ورد مرّة واحدة في قوله سبحانه: « إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ » [4]، والكلمة المحذوفة هي (أذكر) ، لأنّ تقدير الكلام يأتي كما يلي:

« ۞ واذكر إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ .... »

*** التقديم :**

ورد التقديم في قوله سبحانه: « إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ » [5] " فعندما نتأمل في هذا الترتيب نجد بأنّ الحواريين

---

[1]– سورة آل عمران: الآية (32).

[2]– عبد الصمد عبد الله محمّد، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم– خصائصه التركيبة وصورة البيانية–** رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا العربية، 1995، ص 181.

[3]– سورة المائدة: الآية (114).

[4]– سورة المائدة: الآية (112).

[5]– سورة المائدة : الآية (112– 113).

لما سألوا المائدة ذكروا في طلبها أغراضا، فقدموا ذكر الأكل فقالوا: (نريد أن نأكل منها، وتطمئن قلبونا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين)، أمّا عيسى عليه السلام بصِفائية اختياره رسولا فقد أخر الطعام عن القيم"[1] فقال: « ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ »[2]

ثانيا: أساليب علم البيان

الآيـــة	رقم الآية	السورة	أساليب علم البيان	الغرض
« ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴿٥٢﴾ »	52	آل عمران	إستعارة	التبليغ

*** قراءة في الجدول:**

يتضح لنا من خلال الجدول أن الإستعارة هي الصورة البيانية الوحيدة التي وردت فيه في قوله تعالى: « ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴿٥٢﴾ »[3] "وذلك أنّ الكفر ليس بمحسوس وإنّما يُعلمْ ويُفطنُ به، فإطلاق الحس عليه نوع من الاستعارة[4] ، حيث شبّه الكفر بالمرض ثم حذف المشبه به ورمز عليه بشيء من لوازمه وهو الإحساس (أحسّ) على طريقة الإستعارة المكنية، وأمّا التعبير " بـ" أحس دون " علم " أو " أخبر" أو غيرها من الألفاظ، لبيان عظم حرص الأنبياء– عليهم السلام– على أممهم، ويحسونها قبل أن تخرج وتشيع وتصبح معلومة لكلّ أحد، بل إنّهم بمجرد الإحساس يقومون بعلاجها ووقف العلاج الناجح لها"[5].

[1]– أنظر: منيرة محمود المسيري، المرجع السابق، ص 330.

[2]– سورة المائدة: الآية (114).

[3]– سورة المائدة: الآية (112).

[4]– الصابوني، محمّد علي، المرجع السابق، ص 207.

[5]– سعد بن عبد العزيز الدريهم،**سورة ال عمران دراسة بلاغية** ،أطروحة علمية لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها ،جامعة ام القرى ،كلية اللغة العربية ،1422هـ، ص 211.

ثالثا: أساليب علم البديع

الآيـــة	رقم الآية	السورة	أساليب علم البديع	الغرض
« فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ »	52	آل عمران	طباق (الكفر – آمنّا)	– التبليغ

*** قراء في الجدول:**

من خلال الجدول يتبين لنا أنّ المحسّن البديعي الوحيد الذي ورد فيه هو الطّباق في كلمتي (ٱلۡكُفۡرَ - ءَامَنَّا) في قوله تعالى: « فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ » [1] ، حيث تألفت تلك الكلمتين المتضادتين من اسم وفعل، ويسمىّ هذا النوع من الطّباق بالطّباق الإيجابي.

المطلب الرابع: قراءة حول الأساليب البلاغية الواردة في خطاب عيسى عليه السلام لقومه

بعد الدراسة البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لقومه، والتي تمحورت حول أساليب علم المعاني والبيان والبديع نخلص إلى ما يلي:

أو : الأساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد .

– قلّ استعمال الأساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد، إذ بلغ عدد أساليب علم المعاني أسلوبين فقط وهما التأكيد والتقديم من غير تكرار وقد كان مضمون التأكيد تبرئة ابن مريم عليهما السلام من التهمة الموجهة إليه والمتمثلة في بطلان قول من ادعى فيه الربوبية (سبحان الله وتعالى عما يقولون)، وأمآ التقديم فقد أتى لإفادة الإقرار في مقام الأمر بالصلاة والزّكاة، وعن أساليب علم البيان نجد صورة بيانية واحدة وهي

[1] – سورة آل عمران : الآية (52).

التعريض والتي تحمل مضمون الإنكار، ويدل هذا التعريض على الرّد على متهمي مريم وأعدائها من اليهود، وإذا انتقلنا إلى أساليب علم البديع فقد ورد فيها ثلاثة محسنات بديعية وهي الجناس والسجع والطباق .

ثانيا: الأساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل.

تعددت وتنوعت الأساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل خالة أساليب علم المعاني إذ بلغ عددها أربعة أساليب بين التقديم الذي ورد مرّة واحدة وجاء لإفادة التحدي في مقام إثبات رسالته لقومه، وبين التوكيد الذي تكرّر سبع مرات، وكان مضمونه متنوعا بين الإقرار بتوحيد الألوهية والربوبية، والتأكيد على رسالته التي تحمل دلالات متنوعة كالإلزام والتقرير والتخصيص، وبين الأمر المتكرر ست مرات والذي يراد به الإلزام في مقام الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وتقواه، وأمّا النداء فقد جاء مرتين لينتهي غرضه إلى لفت الإنتباه الذي يؤول إلى التنبيه لعبادة الله وتنبيههم لهم بأنّه رسول الله.

وفيما يخص أساليب علم البيان يتضح أن الصورة البيانية التي تخلّلت خطابه عليه السلام هو التشبيه والذي أفاد التحدي في مقام إنكار قومه لرسالته، وعن علم البيان نرى أن المحسن البديعي الوارد هو الطباق إذ تموقع ثلاث مرات.

ثالثا: الأساليب البلاغية في خطاب عيسى عليه السلام للحواريين.

لقد تكررت الأساليب البلاغية في هذا الخطاب خالة في علم المعاني والتي بلغ عددها ثمانية أساليب ومنها الأمر الذي تكرر أربع مرات في مواقف متنوعة كالهداية والتوفيق التي تدل على النصح والإرشاد من النبي عيسى عليه السلام إلى الحواريين، وقد خرجت بغرضين هما الإلزام والدعاء وأمّا النظر إلى التوكيد فقد ورد مرتين فمرّة عند التأكيد بالدعوة والإقرار على الإيمان بالله وغرضها الإلزام، وبالنسبة لأسلوب الاستفهام فجاء مرتين أيضا لغرض الإنكار، وأما النداء فكانت دلالته الانتباه، والإيجاز المتكرر مرتين بغرض الدعاء والتضرع ورد لما كانت الإشارة إلى استعجال طلب المائدة، وأما التقديم الذي أفاد التخصيص وقع عندما خص عيسى عليه السلام بأمر المائدة وكذلك الحذف أُريدَ به التخصيص أيضاً.

وإذا انتقلنا إلى علم البيان يتبين أن الإستعارة التي تحمل معنى الإنكار هي الواردة في هذا الخطاب في المقام الذي شهد عليه السلام من قومه الكفر،وأما المحسن البديعي الواقع في هذا الخطاب نجد الطباق فقط.

الخـــاتمة

بعد نيلنا شرف البحث في موضوع –خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم– " عيسى عليه السلام أنموذجا" تمخضت عنه جملة من النتائج التالية:

– القرءان الكريم منذ نزوله محوراً لدراسات كثيرة ولا يزال كذلك، وعلى كثرة هذه الدراسات وتنوعها وتشعبها فهي متجددة لأن مادتها مستقاة من الذي لا تنقضي عجائبه.

– تُعَدُّ خطابات الأنبياء لأقوامهم وما يتعلق بها من الموضوعات التي تشغل حيزا كبيرا من القرآن الكريم؛ إذ يعدّ المنبع الأول من دراستها.

– استخدام الخطاب في الدعوة إلى الله منهج قرءاني عظيم.

– قامت دعوة الأنبياء جميعا على دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد، وتعريف الأقوام بالواجب الذي خلقوا من أجله .

– جاء خطاب الأنبياء عليهم السلام الموجه إلى أقوامهم يحمل كل معاني النصح والإرشاد والبلاغ حبا في الخير لهم ورغبة في هدايتهم.

– إنّ الأنبياء عليهم السلام في خطاباتهم لأقوامهم لم يتركوا منفذا من منافذ التأثير على المخاطَب إلا وسلكوا فيه سواء في ذلك ما يتصل بمخاطبة العقل لإثارة بواعث التفكير السليم أو ما يتصل بالجانب الوجداني لإثارة العواطف والمشاعر والأحاسيس ترغيبا أو ترهيبا .

– تبرز خطابات الرسل والأنبياء لأقوامهم شخصية كل نبي من ناحية □لابته في الحق و□بره في الدعوة وتحَرّكه بين الناس بمنهج مستقيم مؤثر .

– إنّ للمناظرة المندرجة من خطابات الأنبياء لأقوامهم آدابا يحسن بالمسلم أن يعرفها لكي لا يقع في المكابرة أو المغالطة أو التناقض حتى تأتي ثمرتها المنشودة وهي الو□ول إلى الحقيقة ومن بينها التواضع والحلم والتودد في الخطاب والبيان والتفصيل وحسن التعليم والتدرج في الخطاب....

– إنّ جميع الأقوام واجهوا دعوة أنبيائهم بالرّفض والإيذاء ونعتهم بِأَسْوءِ النّعوت وتهديدهم بأبشع العقاب.

– سنة الله واحدة في المكذبين، فقد أهلك الله أعداء الرسل والأنبياء، وعذبهم، وقضى عليهم ، وهم يمنون أنفسهم بالقوة والغلبة.

– تعتبر الدراسات البلاغية سواء علم المعاني أو البيان أو البديع من أفضل وأعظم الدراسات التي يخدمها كتاب الله؛ بل هي خا□ية من خوا□ه.

– اقتضَتْ مقامات خطابات الأنبياء لأقوامهم وبوجه الخصوص خطاب عيسى عليه السلام كثرة مجيء فعل الأمر وتتابعه ومردّ ذلك أن مقامات الدعوة تقتضي المعاودة والإ□رار والإلحاح لمواجهة عناد قومهم وإ□رارهم على الشرك ورفض الدعوة.

– يتضمن التقرير في خطابات الأنبياء لأقوامهم إقرار الخصم بالفعل، وتوبيخه، وتهديده ومطالبته بالإعتراف عن خطئه، والتنبيه والتذكير.

– قلة الصور البيانية في خطابات الأنبياء لأقوامهم ترجع إلى طبيعة الدعوة التي تحتاج إلى الإقناع العقلي بالتعبير المباشر أولا ليتصرف الإنسان بمحض إرادته واختياره حتى يقع الجزاء والعقاب على سلوك حر مختار، ثم الاقناع العاطفي أو الوجداني الذي يساعد على ترسيخ الاقتناع لدى العقل.

– إنّ أكثر أدوات الاستفهام ورودا في خطابات الأنبياء لأقوامهم هي : الهمزة وأنّ مردّ ذلك إلى مرونتها وسهولة التعامل بها لكونها يسأل بها عن كل شيء، كما وجدنا أن الإنكار أكثر المعاني الاستفهامية سواء في كلام الأنبياء أو في كلام الأقوام، أما من جانب الرسل فقد وجد قلة الإنكار التكذيبي وكثرة الإنكار التوبيخي، وهو أمر طبيعي جدا، لأنّ الرسل أمروا بتبليغ الدعوة وطلب الإيمان بها وهم ينهون أقوامهم عن المساوئ الأخلاقية ويدعونهم إلى مكارمها فليس من المعقول أن يأتوا بمثل ما ينهون الناس عنه .

– إن الهدف من دراسة خطابات عيسى عليه السلام دراسة بلاغية إظهار مدى الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وأخيرا يمكن القول أنّ هذا البحث وما طرقه من قضايا يمكن أن يكون بمثابة حافز لدراسات أخرى إذ أنّنا نو□ي الدارسين من بعدنا بإتمام ما بدأناه والتطرق للجوانب التي أغفلناها، لأنّ الكامل لله عز وجل دون سواه ونرجو من الله العفو والمغفرة إن نسينا أو أخطأنا أوْ تكلّمنا فيما ليس لنا به حق.

ملحـــــــق

أيّد الله تعالى عيسى عليه السلام مند ولادته حتى وفاته بقدرته تعالى، فميلاده كان معجزة وحديثة وهو طفل كان معجزة، وكل ما قام به من أشياء وهو نبي معجزات جميعاً مؤيدة بقدرة الله تعالى سبحانه ،حتى رفعه الله تعالى إلى السماء حين توفاه ،وللتعرف على نبي الله عيسى عليه السلام نتطرق إلى ما يأتي:

أولاً: اسمهُ ونسبهُ

قال تعالى: « إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ » سورة أل عمران : الآية (45-46)، ففي هذه الآية الكريمة ورد اسم المسيح عليه السلام كاملا[1]، وذكر الزمخشري في تفسيره "الكشاف" حول اسم المسيح عيسى ابن مريم « وهي ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى، وأما المسيح والابن فلقب وصفة »[2]

ولقد بين لنا القرآن الكريم أن عيسى هو عيسى ابن مريم ولم ينسبه القرآن إلاّ لمريم، ولم يقل عنه سوى أنه ابن مريم، ولم يقل القرآن عن عيسى أنه ابن الله، او ابن داوود أو ابن يوسف، كما زعمت الأناجيل المحرفة .

إن عيسى هو ابن مريم وهذا تأكيد قرآني لميلاد عيسى من غير أب : قال الله تعالى: « ۞ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ » سورة البقرة : الآية (253) وهذا تأييد القرآن على أنّ عيسى هو ابن مرْيم نفي واضح لأي زعم بأنّه ابن رجل ما وهو إشارة أكيدة إلى أنه من أم ولكنه من غير أبٍ [3].

ثانياً: مولدهُ

لما أراد الله تعالى خلق عيسى عليه السلام، أرسلَ جبريل عليه السلام إلى مريم يبشرها بذلك وذكر لها أن الله تعالى سيجعلها تُنجب ولدا اسمه عيسى ولقبه المسيح وذكر لها بعض صفاته وهذا قبل النفخ فيها وحملها قال تعالى: « إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى

[1]- حنان قرقوتي شعبان، **حياة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام،من منظور إسلامي، دراسة مقارنة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 35.

[2]- الزمخشري، أبو القاسم حار الله محمود بن عمر، **تفسير الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة، بيروت ، ط3، 2009، ص 172.

[3]- محمّد علي الخولي،**الحقيقة عيسى المسيح**، دار الفلاح والتوزيع، الأردن ،ط1، 1999، ص 105.

ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ » سورة آل عمران : الآية (45- 46).

ولماَ بشرت مريم عليها السلام أنّ الله سبحانه سيهب لها ولدا يخلفه بكلمة كن اعتزلت أهلها وتوجهت إلى شرق بيت القدس، وذلك لتتفرغ لعبادة الله تعالى وفي قوله تعالى:« وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا » سورة مريم : الآية (16- 17)[1].

جاء جبريل عليه السلامَ إلى مرْيم على صورة إنسان فخافت منه وظنّت أن يريدُ بها السوء ، قال تعالى :

« فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا » سورة مريم : الآية (17- 18)[2].

لكن جبريل عليه السلام أجابها أن الأمر هينٌ على الله وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آيةً للناس ورحمة لبني إسرائيل، وأن ذلك كان أمراً مقدراً من الله تعالى قال تعالى : « قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ » سورة مريم:الآية(21)[3] وهنا علمت مريم عليها السلام وأيقنت هذه البشارة صحيحة، ولكنها تعجبت وتساءلت كيف تتحقق هذه البشارة العجيبة، لأن العادة الولادة لا تكون إلا عن حمل من رجل، إما أن يكون من زواج شرعي أو طريق غير شرعي، وهي عليها السلام لم يمسسها بشر وحاجاها أن تكون بغيا وهذا ما يقول سبحانه وتعالى على لسانها: « قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ » سورة مريم : الآية (20)[4].

علمت مريم عليها السلام، وأيقنت أنّ هذه البشارة صحيحة، ولكنّها تعجبت وتساءلت كيف تتحقق هذه البشارة العجيبة، لأنّ العادة الولادة لا تكون إلاّ عن حمل من رجل، والحمل إمّا أن يكون من زواج شرعي أو

[1]- طبارة عفيف عبد الفتاح ، **مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص و دروس وعبر من حياتهم**، دار علم للملايين، لبنان، ط1، 1985، ص 318.

[2]- حنان قرقوتي شعبان، مرجع سابق، ص 20، 21.

[3]- المرجع نفسه، ص 21.

[4]- أنظر : الصلابي ،محمّد محمّد، **المسيح عيسى بن مريم الحقيقة الكاملة** ،ط1، 2019، ص 111.

طريق غير شرعي، وهي عليها السلام لم يمْسسْهاَ بشرٌ بزواج وحاشاها أن تكون بغيا وهذا ما يقول سبحانه وتعالى على لسانها « قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا » سورة آل عمران: الآية (20) [1].

وهنا تنتهي مهمة الروح الأمين وقد بلغ رسالة والتي أمر أن يبلغها، ليأتي موقف أخر أشد هولا، ألا وهو شعورها بعوارض الواردة أمام جدع النخلة بجوار المكان الذي إختارته بعيداً عن قومها، وفي خضم ذلك تذكرت أمر قومها وتساءلت كيف بإمكانهم أن يصدقوها وهي الطاهرة العفيفة، حينئذ تمنت الموت قال تعالى: « فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ » سورة مريم : الآية (23)[2]، وفي حدة الألم ولدت مريم عيسى عليه السلامُ الذي يناديها من تحتها يطمئن قلبها ويصلها بربها ويرشدها إلى طعامها وشرابها وأمرها كذلك أن لا تكلم أحداً من النّاس وأن تندر يومها صوماً عن الكلام لله رب العالمين في قوله تعالى: « فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ » سورة مريم: الآية (23- 26)[3].

ثالثا: وفاتهُ

تآمر أعداء الله من اليهود على قتل عيسى عليه السلام لكن الله تعالى نجاة منهم وأبطَل مر اليهود عندما توفاه ورفعه إليه ويدل على ذلك قوله :« إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ » سورة آل عمران: الآية (55)[4].

- ولقد اختلف العلماءُ بالمقصود بـ "متوفيك" في هذه الآية :

---

[1]- المرجع نفسه، ص 112.

[2]- أنظر: فضل حسن عباس، **القصص القرآني إيحاءهُ ونفحاته**، **دار الفرقان**، عمان الأردن، ط1، 1987، ص 380.

[3]- أحمد طه، **المسيح بن مريم القرآن الكريم**، منى للنشر الالكتروني، د ط، 2013، ص 41.

[4]- أنظر: الصلاّبي، مُحَمَّد مُحَمَّد ،المرجع السابق ، ص 320

فقال بعضهمُ هي وفاة نوم، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني منيمك ورافعك في نومك.

وقال آخرون: معنى ذلك إني قابضكَ في الأرض فرافعك إليّ قالوا: ومعنى الوفاةِ القبضَ موت لما يقال توفيت من فلان مالي عليه بمعنى: قبضته واستوفيته، قالوا فمعنى قوله: « إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ » سورة آل عمران: الآية (55) إني قابضك من الأرض حيا إلى جواري وأخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

وقال آخرون : معنى ذلك إني متوفيك وفاة موت .

وقال آخرون: معنى ذلك إذ قال الله يا عيسى، إني رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا، وقالوا : هذا من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم [1].

ثم قال بعد أن ساق هذه الأقوال وأدلتها: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قول من قال : معنى ذلك : إني قابضكَ من الأرض ورافعك إلى، لتواتر الأخبار عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال "ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبتغاها، ثم يموت، فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه [2].

رابعا: معجزاتهُ

خ الله تعالى عيسى بمعجزات، فلماَ كان الطبّ شائعا في زمانه عند قومه حيث كانوا بارعين فيه، جعل الله معجزاته من جنس ما يرعوُا فيه، فكان يبرئ الأكمه والأبرصَ ويحي الموتى بإذن الله وكانَ يصوّرُ الطين كصورة الطّير فينفخُ فيه، فيطيرُ طيراً بقدرة اللهِ ومشيئتهِ، كماَ كان يخبرهم بما يدّخرونه في بيوتهمُ للمستقبل [3]،وأما الآية التي تبين معجزاته في قوله تعالى :« وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ »[4].

---

[1]- الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير ، **تفسير الـ بري جامع البيان عن تأويل أي القرآن تح عبد الله بن عبد المحسن التركي**، هجر للطباعة والنشر، ط1، 2001، ج5، ص 446.

[2]- المرجع نفسه، 451.

[3]- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،**تفسير القرآن العظيم**، تح :مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1998، ج6، ص 37، 38.

[4]- سورة آل عمران: الآية(49).

قائمة المصادر

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم برواية حفص بن عاصم

1- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تح: حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1، 1998 ج2.

2- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **قصص الأنبياء**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ، ط3، 1988.

3- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **فضائل القرآن**، مكتبة إبن تيمية، القاهرة، ط1، 1416هـ.

4- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، بيت الأفكار الدولية، الأردن ، (701-774هـ،2006 ، ج1.

5- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين مُحَّد بن مكرم، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د ط، دت ، ج1.

6- أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي، **فن الحوار – آدابه – صفاته المحاور**، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية ، دط ، دت .

7- أحمد أحمد بدوي، **من بلاغة القرآن** ، نهضة القرآن مصر، القاهرة، د ط، 2005.

8- أحمد أحمد غلوشن، **دعوة الرسل عليه السلام**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002 م.

9- أحمد الهاشمي ، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

10- أحمد بهجت، **أنبياء الله**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1973.

11- أحمد طه ، **المسيح بن مريم، القرآن الكريم** ، منى للنشر الالكتروني ، دط، 2013.

12- آدم بَمْبَا، **أسماء القرآن الكريم وأسماءُ سوره وآياته معجم موسوعي مُيسر**، مركز جمعة الماجد الثقافة والتراث، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1، 1430هـ، 2009م.

13- الألوسي، البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ، د ط، دت، ج16.

14- الآمدي، علي بن مُحَّد، **الإحكام في أصول الأحكام**، المكتبة الإسلامية، د ط، د ت، ج1.

15- التّهانوي، مُحَّد علي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مكتبة لبنان ، بيروت، ط1 ،1997، ج1.

16- الجرجاني ،عبد القاهر، **معجم التعريفات**، تح: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
الدارمي، **مختصر فضائل القرآن**، دار الأثر، مصر، د ط، 2020 م.
17- حسن سليمان ، **قصص الأنبياء**، القاهرة، ط1، 2013م.
18- حمدي غنيم سليمان السيد، **قصة موسى عليه السلام وفرعون مصرفي القرآن الكريم**، جامعة الأزهر، د ط، 2003.
19- حنان قرقوتي، **حياة المسبح عيسى ابن مريم عليها السلام**، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 2004.
20- خالد عبد العظيم بيومي الليثي، **قبس من سير الأنبياء والمرسلين** ، شبكة الألوكة، د ط، د ت .
21- خلف نوال، **الإنسجام في القرآن الكريم– سورة النور أنموذجا**– مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2012م.
22- الدّوسري، منيرة مُحَمَّد ناصر، **سور القرآن وفضائلها**، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1،د ت.
23- ربيع بن هادي عمير المدخلي، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة، والعقل** ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، دت .
24- رضا الصدر، **المسيح في القرآن**، دار الأرقم للطباعة والنشر ، لبنان ، ط، 1413 هـ.
25- الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، دار التراث، القاهرة، ط2، 1984.
26- الزركشي، بدر الله مُحَمَّد بن عبد الله، **مختصر البرهان في علوم القرآن** ، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د ت.
27- الزمخشري، أبو قاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة بيروت، لبنان ، ط3، 2009.
28- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، **أساس البلاغة**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1998.
29- السعدي، عبد الرحمان بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 2002 .
30- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، ط10، 1988.
31- سيد مبارك، **معجزات الأنبياء والمرسلين** ، المكتبة المحمودية، القاهرة، د ط، 2004.
32- السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2008.

33- السيوطي، **مختصر الإتقان في علوم القرآن**، دار النفائس، لبنان، ط1، 1985.

34- الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول صلى اله عليه وسلم** ، دار القدس، ط 1، 2006م.

35- الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن، بالقرآن** ،دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مج5.

36- الصابوني، مُحَمَّد علي ، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم ، بيروت، ط1 ، 1998 ،ج1.

37- الصابوني، مُحَمَّد علي، **النبوة والأنبياء** ، مكتبة الغزالي، دمشق، ط3، 1985م.

38- الصّلابي ،علي مُحَمَّد، **الإيمان بالرسل والرسا ت**، دار المعرفة بيروت، لبنان، د ط، د ت.

39- الطبري، أبو جعفر، **تفسير الطبري**، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1، 1994.

40- طنطاوي ،مُحَمَّد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1997.

41- عبد الحليم محمود، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، دار المعارف، ط3، د ت.

42- عبد الرحمن حللي، **النبوة والرسالة، مقاربة في المفهوم القرآني**، جامعة حلب، د ط، د ت.

43- عبد الرحمن سعود إبداح، **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، دروب للنشر والتوزيع عمان، الأردن، دط، 2016.

44- عبد الفتاح أبو سنة، **علوم القرآن**، دار الشرق، القاهرة، ط1، 1990م.

45- عبد القادر شيبة الحمد، **قصص الأنبياء القصص الحق**، شبكة الأولوكة، الرياض، ط1، 2013.

46- عبد الله محمود شحاته، **علوم القرآن**، دار غريب، القاهرة، د ط، 2002.

47- عفيف عبد الفتاح طبارة ، **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، دار العلم الملاين، بيروت، ط15، 1985.

48- عمر سليمان عبد الله الأشقر، **الرسل والرسا ت**، دار النفائس، الأردن، ط14، 2017.

49- فريد أمين إبراهيم الهنداوي، **فضائل القرآن العظيم في السنة الصحيحة**، الألوكة، د ط، دت .

50- فضل حسن عباس، **القصص القرآني إيحاهُ ونفحاتهُ**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1987.

51- الفيروز أبادي، مُحَمَّد الذين مُحَمَّد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2004.

52- لطفي فكري مُحَمَّد الجودي، **جمالية الخطاب في النص القرآني** ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.

53- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر، ط4، 2004.

54- مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مصر العربية، 1989 ، ج1.

55- مُحَمَّد أحمد العدوي، **دعوة الرسل إلى الله تعالى**، دار العصرية للنشر والتوزيع، دط، د ت .

56- مُحَمَّد الراوي، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**، المكتبة الأكاديمية، مصر،ط1، 2007.

57- مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس،دط،1984، ج16.

58- مُحَمَّد علي الخولى، **الحقيقة عيسى المسيح**، دار الفلاح، الأردن، ط1، 1990.

59- منّاع القطان، **مباحث في علوم القرءان**، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، دت.

60- منير محمود علي المسيري، **د ت التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، مكتبة هبة، القاهرة، ط1، 2005.

61- نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية**، عمان ، الأردن ط1 ، 2009.

62- نعمان بوقرة، **لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 2012.

63- النيسابوري، نظام الدين الحسن ، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، مج5، ط1، دت.

64- هارون يحي، **الأمم البائدة**، د ب، د ط، 2004.

65- يحي بن مُحَمَّد حسن بن أحمد زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الحكمة والعقل**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، د ت.

– المذكـــرات:

66- حميد بن مُحَمَّد حموي، **منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم – دراسة مقارنة** ، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2012.

67- سعد بن عبد العزيز الدريهم، **سورة آل عمران– دراسة بلاغية** – أطروحة علمية لنيل درجة الدكتورة في اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1422هـ.

68- عبد الصمد عبد الله مُحَمَّد، **خطاب الأنبياء في القرآن الكريم– خصائصه التركيبة وصورة البيانية–** رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا العربية، 1995.

المجلات:

69- فيصل غوادرة، **المستوى البلاغي في سورة مريم**، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 17، العدد الأول، 2009.

فهـــرس

الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة **الدعاء** **شكر وعرفان**	
مقدمة.....	أ- ت
مدخل.....	8-4
الفصل الأول: مفاهيم عامة	31-9
المبحث الأول: تعريف مفردات البحث	21-9
المطلب الأول: الخطاب.....	9 -10
المطلب الثاني: الرسل والأنبياء.....	10 -16
المطلب الثالث: القرآن الكريم.....	17 - 21
المبحث الثاني:الخطاب القرآني مقاصده/أنواعه / خصائصه.....	21 – 31
المطلب الأول: لفظة الخطاب في القرآن الكريم	21 -22
المطلب الثاني: مقاصد الخطاب القرآني	22 -23
المطلب الثالث: أنواع الخطاب القرآني.....	23 -29
المطلب الرابع: خصائص الخطاب القرآني.....	29 – 31
الفصل الثاني: خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم (دراسة نظرية)	32 -65
المبحث الأول: نماذج من خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم.....	32 -54
المطلب الأول: خطاب نوح عليه السلام لقومه	34 -34
المطلب الثاني: خطاب هود عليه السلام لقومه.....	34 -36
المطلب الثالث: خطاب صالح عليه السلام لقومه	36 -38
المطلب الرابع: خطاب إبراهيم عليه السلام لقومه.....	38 -42
المطلب الخامس: خطاب لوط عليه السلام لقومه.....	42 -44
المطلب السادس: خطاب شعيب عليه السلام لقومه	44 -46
المطلب السابع: خطاب موسى عليه السلام لقومه.....	46 -50
المطلب الثامن: خطاب مُحَمَّد ﷺ لقومه.....	50 -54
المبحث الثاني: منهج الأنبياء في خطابهم لأقوامهم.....	54 -65

المطلب الأول: الغايات المشتركة في خطابات الأنبياء لأقوامهم.....	59-54
المطلب الثاني: أدب الأنبياء عليه السلام في خطابهم لأقوامهم.....	62 -59
المطلب الثالث: ملامح الخطاب الناجح من خلال مناهج الأنبياء في خطاباتهم لأقوامهم.....	64-62
الفصل الثالث: خطاب عيسى عليه السلام لقومه في القرآن – دراسة تطبيقية –	87 -66
المبحث الأول: محاور خطاب عيسى عليه السلام لقومه في القرآن.....	71 -65
المطلب الأول: خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد.....	66-65
المطلب الثاني: خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل.....	69 -66
المطلب الثالث: خطاب عيسى عليه السلام للحواريين	70-69
المطلب الرابع: خصائص خطاب عيسى عليه السلام لقومه.....	71 -70
المبحث الثاني: دراسة بلاغية لآيات خطاب عيسى عليه السلام لقومه.....	87 -72
المطلب الأول: الأساليب البلاغية الواردة في خطاب عيسى عليه السلام لقومه في المهد.....	75 -72
المطلب الثاني: الأساليب البلاغية الوارد في خطاب عليه السلام لبني إسرائيل.....	80-75
المطلب الثالث: الأساليب البلاغية الواردة في خطاب عيسى للحواريين.....	86-81
المطلب الرابع: قراءة حول الأساليب البلاغية الواردة في خطاب عيسى عليه السلام لقومه.....	87 -86
الملحق.....	91-88
الخاتمة.....	93-92
قائمة المصادر والمراجع	97 -94
فهرس الموضوعات.....	99 -98